المشرق

استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة

لجناب الكونت دومنيل دو بوسون

وهي مقالة ضافية نشرها المؤلف اولًا في مجلة سوريَّة (SYRIA) ثم تلطَّف واخرجها على صورة جديدة مختصرة لنعرِّبها لقرَّاء المشرق فأجبنا بطيب الخاطر الى دعوته ل . ش

توطئة

لنَّ من يسرح النظر في ما خلَّفهُ سيَّاح القرن السابق من تصاوير بيروت يأخذهُ الاندهاش مما يعاينهُ فيها من الابنية العسكريَّة المتعدِّدة . فانَّ المدينة كانت في غضون القرن التاسع عشر باقيةً على شبه بلدة محصَّنة

فكان الناظر اذا حدَّق البصر الى المدينة من مشارفها في جنوبها الغربي او من رأس السنطيَّة يراها محدقة بنطاق من الاسوار القديمة على شكل مربَّع مستطيل يمتدُّ من الشمال الى الجنوب في وسطهِ مساكن اهلها بموقع جميل الَّا انَّها غير متقنة البناء . وهذا ما كانوا يدعونهُ ببيروت المربَّعة . فكانت الابنية اشبه باكواخ ترتفع في وسطها الى عنان السماء ثلث مناور كبيرة على شكل شوكة مثلَّثة الاسنَّة . وكان قياس تلك المدينة من الجهة مرفاها القديم الى باب الدركة الجنوبي يبلغ ٥٧٠ مترًا تقط امَّا قياس امتدادها من بابها الشرقي اي باب السراية الى بابها الغربي باب ادريس فلا كان يزيد عن ٣٧٠ مترًا . وكان الناظر طيلها اسوارها التي في النهار كانت تموج في وسطها

وعند ابوابها بحركة البائعين والتجار ثم تعود الى هدوئها ليلًا بعد ان تُقفل ابوابها وتودع مفاتيحها عند واليها

اما في خارج المدينة فكنت ترى بعض البساتين والمقابر غير المنتظمة ولاسيَّما كثبان الرمل تخترقها منابت الصبَّير. هذا ما يلوح من صورة بيروت التي رسمها المسيو مونفور (Montfort) في ٢ ت ١ سنة ١٨٣٧ . وفي تلك السنة عينها كتب احد زوَّارها لاون دي لابورد (L. de Laborde) انَّ نصف اهل بيروت يسكنون في البساتين. على انهم في الازمنة المضطربة كان يغلب عليهم الخوف فيبيتون ليلًا داخل المدينة ولا يبقى خارجًا عن الاسوار الَّا الذين يثقون ببساتينهم ولا يبالون بالمخاطر

وكان لبيروت على جانبيها من جهة البحر حصنان مغربيَّان على طرز الابنية القديمة في عهد الامراء المستقلين فيزينان نوعًا تلك المدينة التي لولاهما اصبحت شبيهة بسجن. هذا ما كتبهُ السائح جون كَرْن (J. Carne) سنة ١٨٣٦ . أمَّا الشاعر لامرتين فانَّهُ سبقهُ الى وصف تحصينات بيروت القديمة سنة ١٨٣٢ فعدَّها «من ابدع الابنية التركيَّة» . وقد كرَّر غير مرَّةٍ ارتياحهُ الى نظر الحصون المشرفة على المدينة لكنَّهُ كان يأخذهُ العجب من إهمال الترك لترميمها فان النباتات المتطفلة والحشائش المتنوعة واشجار التين البرّي كانت بارزةً من شقوقها تتطلَّي جدرانها. وممَّا خصَّهُ بوصفه شرفات اسوار المدينة البيضويَّة الشكل

وكان للمدينة كذلك خارجًا عنها بنايةٌ عالية مربَّعة باستطالة غير مستقيمة وبرج ضخم اشتقُّوا منهُ حاضرًا لاسم ساحة البرج وكان موقعهُ على مسافة ١٥٠ مترًا شرقي زاوية الاسوار بميلة الى جنوبها الشرقي وكان البرج المذكور لحسن موقعهِ يُدعى بالبرج الكشَّاف ودعتهُ الخارطة الانكليزيَّة البحريَّة المرسومة سنة ١٨٣١ ببرج الحشيش واقادت عنهُ انَّهُ كان سابقًا معزَّزًا بخمسة مدافع وكان الظنون انَّهُ من ابنية الصليبيين . وفي السنة ١٨٤٠ ضربهُ الانكليز فظهرت فيهِ آثار مدافعهم. وعلى رأي لامرتين انَّ البرج المذكور من ابنية فخر الدين امير الدروز وكانت طليعة ابراهيم باشا ترقب منهُ الجهات المجاورة .. وفي مكانهِ بُني حاضرًا مسرح ساحة البرج المعروف بزهرة سوريَّة. وفي شرقيهِ خانٌ ترى فيهِ بعض آثار البرج القديم

وكان بازاء البرج المذكور برجٌ آخر يقابلهُ يُعرف بالبرج الجديد ولهُ تحصينات

مثلهُ . وفي الخارطة الانكليزيّة السابق ذكرها دليل عليهِ

ثمّ كان المدينة شرقاً وغرباً على بعض المسافة من اسوارهـا حصنان آخران اقلّ منهما شأناً موقع الواحد غرباً يُدعى في خارطتي الانكليز سنة ١٨٣١ و١٨٤١ ببُرْج الحصن شمالي الحيّ والمينا المعروفين اليوم بعينا الحصن . امّا البرج الشرقيّ فكان موقعهُ على ما افاد السائح كَرْن قريباً من مقـام الخضر حيث يروي التقليد المكان الـذي يزعم الجمهور ان فيهِ قتل القديس جرجس التنين . وخوارط الانكليز تدعو البرج المذكور برج الخضر

وكان لبيروت تحصينات أخرى تحميها عن غارات اعدائها . منها ما درست آثارهُ وبقي ذكرهُ شائعاً بين العموم كبرج ابي حيدر وبرج دندن

وكان فتح المصريين لسوريّة (١٨٣٢—١٨٣٩) على يد ابراهيم باشا ابن الخديوي محمّد علي منعرَجاً لاهل بيروت فان المدينة مذ ذاك الحين اخذت تمتـدّ وتتّسع وتلوح على هيئة جديدة . وقـد باشر ابرهيم بتدمير سورها . ثمّ جاء تجهيز مرفاهـا وفتح شوارعها المستحدثة فكان كلّ ذلك مدعاةً لابادة التحصينـات العسكريّة السابقة التي لم يسلم منها سوى آثار قليلة . وترى اليوم بيروت رافلةً بحلّة جديدة فهي مدينة كبيرة يعلو بيوتها الآجرّ الورديّ وتزينها الجنائن والاشجار

١ نظر تاريخي في تحصينات بيروت

يجوز تقسيم الاستحكامات التي امتازت بها بيروت في سابق الزمان الى اربعة اقسام : ١ً التحصينـات العربيّة قبـل الصليبيين . ٢ً تحصينـات الصليبيين . ٣ً استحكامات امراء الـدروز المنسوبة عموماً الى فخر الدين . ٤ً الاستحكامات التركيّة الحديثة معظمها لاحمد الجزّار والي عكّا في اواخر القرن الثامن عشر

﴿ ١ً التحصينات العربيّة قبل الصليبيين ﴾ لا نعلم من امرها شيئاً يُذكر وانّما وصفها الكتبة كابن حوقل والمقدسي كمدينة محصّنة منيعة السور دون زيادة في الافادة

﴿ ٢ً تحصينات الصليبيين ﴾ يمتدّ طور الصليبيين من السنة ١١١٠ الى ١٢٩٤ ولنا من المعلومات عن تحصينات بيروت في تلك الحقبة ما يفي بالمرام .

فتح الملك بودوين ثغر بيروت الحريّ المحصّن بعـد مقاومة عنيفة في ١٣ أيار

١١١٠ . وفي السنة ١١٥١ مرَّ ببيروت اسطول مصري فنزلوا اليها وقتلوا واسروا واحرقوا كما فعلوا في كلّ مدن الساحل على ما ورد في كتاب الروضتين . ثمّ تكرّرت غارات المسلمين على بيروت من السنة ١١٧٧ الى ١١٨٧ فلم تزل رايتهم الصفراء في تقدُّم الى ان فتح صلاح الدين المدينة بالامان بعد ان ضايقها زمناً طويلاً ولعلمه برجوع الفرنج اليها وبنيّتهم في تعزيز جانبها امر بهدم اسوارها وحصونها

ثمّ عاد ملك اورشليم سنة ١١٩٧ وقصد محاصرة بيروت وكان يحكم فيها أُسامة بن منقذ فنزل هارباً عند قدومه وفتح بعض اسرى الفرنج ابواب الحصن للملك فدخل الصليبيّون المدينة ظافرين . وتولّى جان ديبلين (Jean d'Tbelin) اعادة تحصين بيروت فشيَّد قصرها وعُني ببناء اسوارها على نمط محكم بحيث لا يستطاع الى فتحها سبيل . وقد وصفها احد الكتبة سنة ١٢١٢ وهو السائح ولبرند دي اولدنبرغ فقال : يمنع البحرُ ثغرَ بيروت من جهتها السُّفلى مع ما هناك من الصخور العالية وتحميها من الجهة الاخرى خنادق مبلّطة تحت حراسة سورَين متينين فيهما عدّة ابراج غاية في الشدّة تُبطل كلّ ضربات العدوّ . وكانت كلّ هذه الاستحكامات استوجبت اشغالاً طويلة ولاسيّما انّ نقوشها الداخليّة بلغت النهاية في الحسن والاتقان . ثمّ وصف احدى عرفاتها فقال : انّها كانت مرصوفة بالفسيفساء المثلة مياهاً تتجعّد بنسيم الريح فيتعجّب الماشي كيف لا تغوص رجلهُ في الرمل المصوَّر في اعماقها . وكانت جدران الغرفة مزدانة بقطع من الرخام المنقوش على هيئة تأخذ بالابصار . وقد دُهنت قبّتها بالصبغ الازرق على شكل السما . . وفي وسط الغرفة بركة من الرخام الملوّن الصقيل الخ . . وينفذ الى داخل الغرفة نسيم عليل من نوافذها المتعدّدة فيرطّب حرارتها .

وبعد مدّة وقعت مشاحنات بين فريدريك الثاني و(بين) جان ديبلين صاحب بيروت مع اهل قبرس عرّضت بيروت الى مخاطر جديدة . فكان الامبراطور يدّعي بحقوق موهومة على بيروت ويطلب ملكها سنة ١٢٢٨ واذ انكر عليه جان ديبلين مدّعاهُ اوفد الامبراطور سنة ١٢٣١ جنوداً نزلوا ليلاً الى المدينة واستولوا عليها الّا انّ جان ديبلين تحصّن في قلعتها فحاربهُ فحكّر الامبراطور وحاصرهُ وكادوا يفتحون القلعة عنوةً لولا انّ ملك قبرس قدم لمناصدة الخامنة واضطرّ جنود الامبراطور الى الفرار

وبقيت بيروت في حوزة الصليبيين مع صيداء الى ان فتحها الملك المنصور قلاوون (١٢٩١) وبها انتهت دولة الفرنج في الشام. وحدّث ولا حرج بما حلّ ببيروت من الخراب باغراء اصحاب مصر المماليك. فشرع سنجر الشجاعي بامر الملك قلاوون في هدم سورها وقلعتها بل قلبوا المدينة ظهراً لبطن كما روى احد قدماء المؤرخين وذلك بغية ان يقطع الفرنج أملهم منها. على انّ امراء بيروت ما لبثوا ان ادركوا ما من الخطر على المدينة لو بقيت خالية من التحصين. فحصّنوها نوعاً كما سترى. الّا انّ تحصينهم بقي غير كامل قليل الاهبة ولذلك ترى السيّاح المجتازين في بيروت يصفونها كمدينة غير محصّنة منهم في اواسط القرن الخامس عشر برتراندون (Bertrandon de la Broquière) سنة ١٤٣٢ ومعاصره دي لانوا (Ghillebert de Lannoy) الّا ان لودفيكو دي ڤرتيا (L. di Varthema) سنة ١٥٠٢ يقول ان بيروت محميّة بسور من جهة البحر ومن الغرب فقط

﴿ ٣ تحصينات فخر الدين ﴾ ومن الروايات الشائعة في عهدنا انّ الامير فخر الدين كان اوّل من جدّد استحكامات بيروت. فانْ صحّت الاشاعة فلا بُدّ من القول انّ عملهُ كان ناقصاً غير ثابت. وما لا يُنكر انّهُ لم يشيّد اسوار المدينة. لنا على ذلك نصوصٌ لشهداء عيانيين منهم كرامسيوس في كتابه عن الاراضي المقدّسة والراهب جاك كوجون (سنة ١٦٧١) والانكليزي مرندرل (١٦٩٧) فانّهم يشهدون على انّ المدينة خالية من الاسوار الّا من جهة البحر ومن الغرب. ولمّا ضرب الروس بيروت سنة ١٧٧٢ كانت المدينة معتبرة كمدينة غير محصّنة

﴿ ٤ التحصينات التركيّة ﴾ ففي اواخر القرن الثامن عشر عمد احمد الجزّار الى تجديد استحكامات بيروت. فاقام حصناً جديداً في مكان الحصن القديم واتمّ اسوار المدينة ليحميها من غارات الدروز والمتاولة وكانت غايتهُ ان يجعل المدينة مستقلّة من حكم لبنان ليملك عليها. لكنّ اسوار الجزّار عموماً كانت ضعيفة غير ثابتة.

قلنا فتح ابرهيم باشا بيروت وجد استحكاماتها أخلاطاً من اعصار مختلفة فلم يكترث لاصلاحها ومن ذلك الحين اخذت المدينة تترقّى ترقّياً متواصلاً بينما كانت التحصينات تزيد خراباً وتتزلزل شيئاً فشيئاً. فني السنة ١٨٤٠ كانت الاسوار غير متواصلة والمدينة مفتوحة. كشف فتوح في السنة ١٨٨٢ كلاشت آثار القرن التاسع

والاسوار المشيَّدة قرب البحر. ولمَّا كانت السنة ١٩١٦ امر جمال باشا والي عزمي بك بفتح شوارع جديدة وسط المدينة ازالةً لأقذارها فبادت بفعلها هذا عدَّة آثار قديمة.

٢ استحكامات بيروت من جهة البحر

انَّ حماية بيروت من جهة البحر كانت مقرَّرة منذ عهد الصليبيين بالحصن الوارد ذكرهُ وببعض الاستحكامات التي حاول العلَّامة راي (Rey: *Architecture militaire*, p. 173) وصفها ودوَّن رسمها. وهي بالاجمال من ابنيتهم التحصينيَّة فترى مدخل مرفإها الايمن المتَّجه نحو الشرق محصَّناً ببرجين مربَّعين كانوا يسدُّونهما برجي الجنويَّة. وكانت جهتهُ الشماليَّة مصونةً برصيف وقف المنير راي على اهمِّ اقسامهِ جنوبي الحوض وينسبهُ الى الزمن عينهِ.

وعلى كلِّ حال لا بُدَّ من القول انَّ استحكامات الصليبيين قد تلف معظمها عند الفتح الاسلاميِّ الاخير ومن المقرَّر ان امراء المدينة استخدموا بقاياها لحماية البلد من غارات الفرنج البحريَّة. وقد ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت تلك الابنية (ص ٦١ و١٤٥) احدها البرج الصغير الذي سمي بتعميرهِ الامير تنكز نائب الشام وهو المعروف ببرج البلبكيَّة نسبةً الى مهندسهِ ابي بكر بن البصيص البلبكيِّ. والآخر هو السور الذي جدَّدهُ الامير بيدمر نائب الشام على جانب البحر جعل رأسهُ من عند حارة السباطيَّة او السطيَّة الخاصَّة امراء الغرب وواصلهُ بالبرج الصغير وجعل بينهُ وبين البرج المذكور باباً وركَّب عليهِ سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسُمِّي باب السلسلة.

ومما افادنا صالح بن يحيى ايضاً (ص٦٣) انهُ «في أيام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمِّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة».

فمن كلامهِ هذا ومن رواية السائح دي لونا سنة ١٤٢٢ يُستنتج انَّ استحكامات بيروت كانت تتألف في القرن الخامس عشر ما عدا سور البحر اولاً من القلعة ثم من جهة الغرب من الحصن المعروف بالبرج الصغير او البلبكيِّ المشيَّد لمراقبة المرفإ ومدخل البحر واخيراً من حصن مجاور للمدينة لحمايتها من جهة البرّ.

ولم يصبهُ الَّا القليل من هذه الاستحكامات الى القرن التاسع عشر فان السور القائم عند الساحل بين القلعة والمرفإ كانت آثارهُ قد طمست. وانما كان السور المشيد

شمالي المدينة وغربيها لم يزل ممتدًا على الشاطئ الى المرفإ كما يُرى في الصورة التي رسمها اوجان فلانديز E. Flandin: *l'Orient*. Pl. I في كتابه للمنون بالشرق فيظهر هناك قسم من السور المذكور المشيَّد على الصخور والمشرف على البحر وهو سور قديم تعاوره ابراج مربَّعة احدث منهُ عهدًا الَّا البرج الواقع عند زاويتهِ الذي هو من اصل البناء

أما باقي السور الممتدّ الى الشرق فانَّهُ تلف كما خرب الرصيف الذي كان يحمي باطن المرفإ شمالًا ومن ثمَّ اصبح المرفأ مفتوحًا من هذه الجهة ولم يبق لحماية النسحة الواقعة بين هذا السور الغربي والقلعة الشرقيَّة سوى البرج الصغير الذي أُقيم بدلًا من ابراج القرون الوسطى كما يلوح من تصاوير السيَّاح

وكان البرج البحري مبنيًا على الصخور يبعد عن الشاطئ من خمسة وعشرين الى ٣٠ مترًا وقد سبق انهُ كان أُقيم على اخربة برجين مربَّعين يدعوهما العلَّامة راي بُرجي الجنويَّة وكان بين البرج البحري والساحل جسرٌ جميل تسندهُ كما يظهر قنطرتان متوسِّطتان الَّا انهما مختلفتا الكبر. ففي السنة ١٨٤٩ حصل نوءٌ شديد اباد تلك البناية. وبقي البرج زمانًا بعد ان ضربهُ الانكليز سنة ١٨٤٠ ولم تدثر آثارهُ الَّا عند ابتناء المرفإ الجديد

أما الحصن المبني في البرّ عند زاوية المدينة في شمالها الشرقي على رابية صخريَّة تعلو نحو ثمانية الى عشرة امتار فانَّهُ كان اعظم شأنًا وكانت تُرى بقاياهُ في القرن التاسع عشر وهو يتركب من بُرج مربع تحدق باسفلهِ ابنيةٌ تبرز بينها ابراج اخرى مربَّعة ايضًا. وكان مجمل تلك البناية مثبتًا فوق دكَّة متقنة البناء. قديمة العهد تتصل من احد جانبيها بالصخور الساحليَّة ومن الآخر بالمقبرة الاسلاميَّة وتُطلّ من الجهة الشماليَّة الغربيَّة على كافَّة البلدة وكان سور المدينة مدعومًا بها من الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة

وقد أطلق الانكليز قنابلهم سنة ١٨٤٠ على هذا الحصن فبقيت أخربتهُ الى زمن تعمير المرفإ الجديد فأُبيدت آثارهُ وآثار الصخر الذي كان مبنيًا عليهِ. ولعلَّ بعض التصويبات التي ترى في شارع مرسيلياز الجديد جنوبيًا كانت داخلةً في جملة ابنيتهِ القديمة. والدالّ على ظننا انَّ موندرل سنة ١٦٩٧ اراد هذا الحصن عينهُ حيث وصفهُ بكونهِ قريبًا من قصر فخر الدين ومما قالهُ عنهُ «انهُ كان برجًا ذا ٦٠ قدمًا طولًا وكان

بُناتُهُ ارادوا ان يزيدوا علوّهُ ليجعلوهُ مرقباً للرعية وكان سمك جدرانهِ ١٢ قدماً (قال) ومن اعلاهُ قد سرّحنا النظر على المدينة»

وقد ذكر السائح برّون (W. G. Brown) سنة ١٧٩٩ البرج بقولهِ : انَّ البرج الشاهق الذي يُرى شمالي شرقيّ المدينة هو غير البرج الذي نظرهُ موندرل. فان البرج الذي وصفهُ قد اخربهُ الجزّار لحُوفهِ من عدوّ يظفر بهِ بسهولة ويطلق منهُ القذائف على البلد ومن ثمَّ اقام في مكانهِ برجاً آخر بناهُ بحجارة صغيرة وهو دون البرج السابق متانةً وقد جعل فيهِ حامية . ومما ارتأى العلّامة راي انَّ هذا البرج الحديث اقيم مكان حصن للصليبيين وانهُ كان مجهّزاً بباب سرّي فتحهُ امير بيروت الفرنجي جان ديبلين لجنود قبرس فساعدوهُ على محاربة عسكر فردريك الثاني المحاصر لهُ

٣ استحكامات بيروت الشرقيَّة

السور الذي نتكلّم عنهُ في هذا الفصل وفي الفصل التالي هو السور الذي اقامهُ الجزّار في اواخر القرن الثامن عشر واستفاد لبنائهِ من اخربة الاسوار المختلفة الازمنة . وقد بقي منهُ آثار قليلة ترشدنا مع التقاليد المحليَّة الى تعريف خطوطهِ . كان السور المذكور يستند في شمالي المدينة الشرقيّ الى دكّة القصر السابق ذكرهُ . وعلى رأينا ان رأس هذا السور كان جنوبي غربي شارع المرسلياز كما يظهر من آثار في رتج هناك وكان السور يمتدّ من ثمَّ على خطّ مستقيم الى باب الدبّاغة حيث يمكن مشاهدة هذا القسم الاوّل منهُ

وباب الدبّاغة قد فتح في نفس البدنة مرتفعة نحو مترين و ٦٠ سنتي كان يعلوهُ قوس محدَّب من حجر وبقرب القوس المذكور من باطنهِ خشبة ضخمة تعترضهُ لها في طرفيها ثقبان لجارورَي الباب الاعلين وعلى هذا المثال بقيَّة الابواب كباب السراية وباب يعقوب وباب قلعة المُعزّ في صيدا .

وقد اقيم فوق الباب لحراستهِ بناية مستندة الى ثلاث دعائم كان الجنود يرمون منها القذائف على العدوّ . وكان باب السراية مجهّزاً بمثلهِ . وليست هندسة الباب على شكل واحد في جانبيهِ شرقاً وغرباً فانَّ بناءهُ اوضح من جهة الشرق واذقّ صنعاً ما يدلّ على عهدهِ اقدم . وبقرب الباب مسجد صغير يرتفع مستنداً الى ضفادة الباب

٧٥٢

تحصينات بيروت القديمة

في برسمو بعد البحث المدقّق في انحاء المدينة جناب الكرنث دومنيل دوبريسون

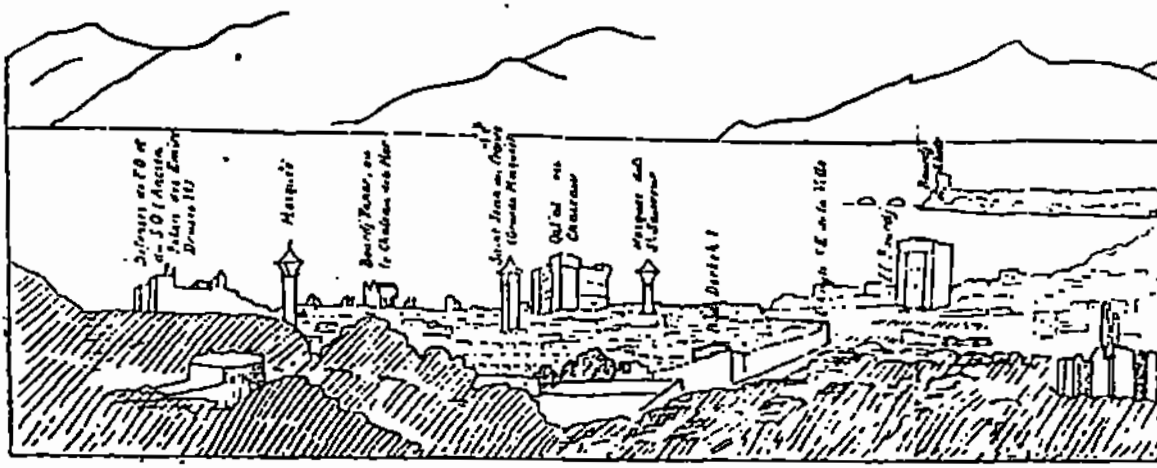

نظر عمومي لبيروت

من صورة رسمها المسيو برنْتِيتْ سنة ١٨٣٥

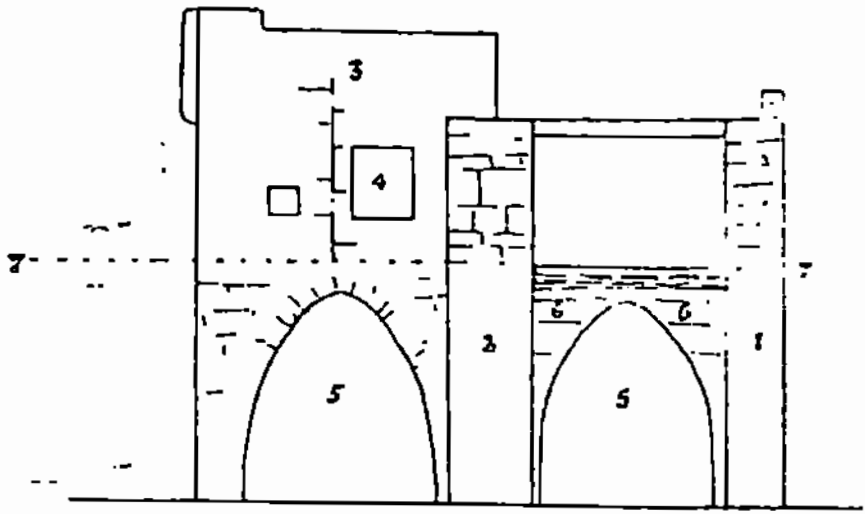

تحصينات باب السراية القديمة من الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة

١ حائط السور الخارجي – ٢ حائط السور من جهة المدينة . ٣ البرج الصغير المشيد الى السور . ٤ نافذة الحجرة المقدَّة في الطابق الاوَّل من البرج . ٥ حجرة مقدَّة من الطابق الاسفل من البرج والسور . ٦ قطعة من السور مهدومة حاضرًا . ٧ سطح حديث يحيط بالبناية

الغربيَّة . وقد دُعي باب الدبَّاغة بهذا الاسم لأنَّهُ كان ينفذ الى سوق الدبَّاغين وكان الذي يمرُّ فيهِ يمشي على جلود الحيوانات المفروشة في وسطهِ فتلين تحت أرجل المارَّة. وعند هذا الباب كانت تجري المبايعات بين المرفإ وداخل المدينة . وكانت القوافل اذا اجتازت باب الدبَّاغة تُدرك المرفأ القريب منهُ وبذلك يتوفَّر عليها المرور في وسط المدينة وطرقها الضيِّقة المتلوِّية . وكان اصحاب الكمرك مقيمين خصوصاً عند باب الدبَّاغة

وعلى بُعد بعض الخطوات غربيَّ الباب يُرى حتى اليوم السور القديم وهو يستند الى بناية ضخمة مربَّعة الشكل استولى عليها الخراب فكانت دعامةً حسنة للباب. وفي هذه القطعة من السور ست كوًى ثلاث للجنوب وثلاث للشرق كانوا يقذفون منها القذائف على العدو

وكان السور يمتدُّ من هناك الى باب السراية على طول القبرة الاسلاميَّة فيبرز على شكل زاوية منثنية . وكانت القبرة تمنع المدينة من ان تمتدَّ من تلك الجهة كما كانت مقبرة السنطيَّة من الجهة الاخرى لا تدع فسحةً للبناء

واليوم قد خرب قسم السور الذي نتكلم عنهُ كما خربت الابنية الضيقة المجاورة لهُ وقد فُتح في مكانهِ شارع واسع . وفي اثناء تدميرها ظهرت آثار مذبح روماني وبقايا تمثال لاحد الفرسان نُقل الى متحف البلد

وكلُّ هذه الابنية القديمة بين بابي الدبَّاغة والسراية لم يبقَ اليوم على وجودها سوى شاهد واحد وهو مرقب صغير تُرى بقاياهُ عند شارع المارشال فوش فيهِ كوَّتان مزدوجتان للقذائف في حائط سمكهُ ٨٠ سنتمترًا . وتحتهُ مشكاة من الطراز العربي

وعلى خلاف ذلك باب السراية فانهُ قد بلغ الى عهدنا على تمامهِ تقريباً مع ما كان يستند اليهِ من الابنية الجنوبيَّة الشرقيَّة . فترى هناك اوَّلاً بناية الباب المربَّعة ثمَّ مقدَّمة السور القديم ثمَّ برجاً مربَّعاً مستطيلاً يدعمهُ السور

فواجهة الباب من خارجهِ تتألف من حائط بسيط تطوهُ شرفات صغيرة وتحميهِ كوًى للتقليق غير منتظمة يزوِّقهُ كبا فوق باب الدبَّاغة بناية مع دعائمها الثلاث لحماية الباب . وقد فُتح في هذه البناية القديمة شبَّاك يشوِّه منظرها ويعرِّضها الى الخراب.

والباب يشبه باب الدبَّاغة يسندهُ قوس محدَّب يُنزل الى عتبتهِ بأربع درجات

منطفة عند احد اطرافها . والعتبة اسطوانةٌ لعمودٍ قديم . وعلى يمينه هنشأ سور المدينة الذي يؤلف بالنسبة الى باب السراية زاويةً مستقيمة فيفيدهُ بمتانةٍ من تلك الجهة . وكان توجيه الباب نحو الزاوية الشماليَّة الشرقيَّة وكذلك الكوى لرمي القذائف ليست على خطٍ مستوٍ لكنَّها مائلة الى الزاوية عينها التي تتألف في قسمها الاعلى من بسطةٍ سويَّة تعضدها قنطرة صغيرة

وكان السائر ينفذ الى داخل السور مارًّا تحت قبة مقرنَّة . وللباب من هذه الجهة منظر بديع فانَّ قوسهُ الكبير يشبه حنيَّةً في تقويسها شيءٌ من العوج وفوقها سطح صغير على علوّ طابقها الاوَّل الذي يُرقى اليهِ بمدرج باطني بُني على قوس خفيف يستند الى القوس الكبير . وكان الراقي الى السطح المذكور يمكنهُ ان يبلغ الى اعلى الاسوار ويصعد الى السطح الاعلى الذي فوق الباب . وقد نشر الدكتور لورته في الصفحة ٧٣ من كتابهِ المعنون « سوريَّة اليوم » La Syrie d'aujourd'hui صورة حسنةً لباب السراية من داخلهِ رسمها تيلور (Taylor) سنة ١٨٨٠ . وعنده بُدنة السور المستندة الى الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة من البناية قد أُقيمت اليوم حولها دورٌ مستحدثة شمالًا وجنوباً واذ كان يصعب على الحامية ان تحمي الباب من تلك النقط اقتضى الامر فتح الكرَّتين المذكورتين فكان الجند يقيمون في الطابق الاوَّل من السور الذي اصبح اليوم حوشاً

ومن هناك ينفذ الداخل الى حجرة مربَّعة مستطيلة تُعتبَر كالطابق الاوَّل للبرج الصغير المستطيل المدعوم الى السور . وهي اليوم مسكن لاحدى العيال سقفها محدَّب وينفذ اليها الضوء من اربع منافذ غير منتظمة مفتوحة الى جهات الجنوب والشرق والغرب . وفوق عتبة الباب ترى قوساً حجريًّا تخفيفاً لثقل البناية

أمَّا الطابق الاسفل ففيهِ ايضاً منفذ بين البرج والسور على شكل قبَب غير متقنة العمل . وكانت هذه القبب تمتد الى الشرق بقبب مثلها استولى عليها الخراب . وفي تقليد الاهل انَّ تلك الحُجَر القبيحة كانت تحوَّلت في القرن التاسع عشر الى حمَّامات . والسور هناك يتابع امتدادهُ الطوفي الى الجنوب . وكان في اعلاهُ شُرَف مربَّعة كالشرفات التي فوق الباب

وقد دُعي هذا الباب باب السراية لقربهِ من سراية قديمة كان موقعها في مكان

سوق سرسق وكانت منسوبة الى فخر الدين . ويُقتضى ان يُفرَّق بين هذه الابنية القديمة العربيَّة التي هُدمت سنة ١٨٨٢ وبين السراية العتيقة الواقعة شمالي ساحة الحرّية والحديقة البلديَّة التي تولّى هندستها جناب بشاره افندي سر مهندس ولاية بيروت سنة ١٨٨٣—١٨٨٤ . ويوجد بقرب سراية فخر الدين في غربيّها جامعٌ قديم يقال انهُ كان سابقاً كنيسة على اسم المخلّص وانّ فيها حدثت اعجوبة الدم الذي سال من صليب ضربهُ احد اليهود (اطلب تاريخ صالح بن يحيى ص ١٧) كما ورد في اعمال المجمع النيقوي الثاني والمسكوني السابع . وقد روى كارسيوس وغيرهُ في القرن السابع عشر انَّ في تلك الكنيسة التي حوّلها امراء الترب الى جامع كانت صورة للعذراء مريم مصوَّرة على احد جدرانها وكان الاتراك يجلُّونها . وغربي هذه الكنيسة كان دير يعرف بدير المخلّص . وقد وجد الاثري الشهير المسيو شلومبرجر (M. G. Schlumberger) خاتماً لاحد رهبان الموارنة عاش في هذا الدير في القرن الرابع عشر

ثم ان اسوار المدينة كانت تتَّجه من باب السراية على طريق مستقيم الى كنيسة مار جرجس المارونية في وسط الاسواق الحاليَّة . مُسامتةً لابنية تحوَّلت اليوم الى غرفة التجارة وكانت تُدعى آخور السراية . ويُرى منها الى اليوم حُجرة واسعة تتألف من خمسة عقود وثمانية عوارض والعقود المذكورة بيضويَّة الشكل تسندها سوارٍ ضخمة مربَّعة مختلفة الاقيسة كالعوارض

اما نكتة ساحة البرج وسوق الجوهريين الحالي فكانا خارجاً عن الاسوار وبخلاف ذلك الساحة الصغرى الموجودة في شارع المسرح مع زقاقٍ هناك وممرٍ مقبَّب يتَّجه الى الجنوب الغربي نحو كنيسة مار جرجس الكاتدرائيَّة فانها كانت داخل الاسوار . وآخرُ دارٍ تراها في هذا الممر عن شمالك قبل دخولك تحت البناء المقبَّب هي دار الامير عبد القادر سكنها لما مرَّ ببيروت وكانت وقتئذٍ من اجمل دور المدينة

ويُدعى ذلك الممر المقبَّب الذي بقرب هذه الدار باب ابي النصر ينفذ منهُ الانسان الى سوق ابي النصر . ومن دقَّق النظر في هذا الباب لا يسعهُ ان يسلِّم بكونهِ من ابواب المدينة وخاصَّة مما يُرى على جدارهِ الخارجي من آثار التحصين لانهُ يجب لذلك القول بانَّ السور الوارد من باب السراية كان يمتدّ الى زاوية هذا البناء في شماله الغربي وذلك مما ينكرهُ التقليد المحلّي

وقد بقي قطعة صالحة من السور في هذا الحي موقعها بين ساحة البرج وكنيسة مار جرجس وجهتها من الشمال الى الجنوب تفصل بين حوش وجنينة هناك . فتلك بَدَنَةٌ طولها نحو ٣٠ متراً لا تزال بتمامها ودكتها السفلى تقيس متراً ونصف سمكاً . وانما هذا الاساس يتسألف كما يظهر من حائطين متلاصقين علوّه لا يزيد عن متر ونصف يستند اليه حائط غربي عالٍ سمكهُ ٣٠ سنتمتراً بُني على الطرف الخارجي وفي هذا الحائط ١١ كوّةً لرمي القذائف وفي اعلاه شرفات مسنّنة . والمرجّح انّ الجزّار هو الذي اقام هذه البناية القليلة المتانة

ويلاصق الحائطَ المذكور جنوباً دارٌ ظنيمة شيّدها في القرن الماضي جدّ الشيخ عبد الكريم ابي النصر نقيب الاشراف حالاً وهي اليوم معبدٌ يصلّي فيه الناس . وموقعها في زاوية السور الجنوبيّة الشرقيّة وكان الحائط في هذه النقطة على شكل زاوية قائمة

وكانت الثلمة التي فتحها الروس لمّا ضربوا بيروت سنة ١٧٧٣ بين باب السراية وباب ابي النصر . فانّهم بعد ان اطلقوا مدافعهم على المدينة من المرفأ دون جدوى انزلوا الى البرّ لحد مدافعهم الضخمة وسحبوهُ حتى ركزوهُ عند سور المدينة ففتحوا لهم طريقاً الى داخل المدينة وانما حصل بينهم وبين حلفائهم الدروز الذين كانوا يحاصرون المدينة برّاً خلافٌ تحت المدينة بسببه . لكنّ الجزّار الذي اعتاد خيانة اصحابه ما لبث ان حالف اعداءهُ الروس (كرين الاوّل ١٧٧٣) . ومذ ذاك الحين عُرف مكان ضرب الروس للاسوار بمكان المدافع (place des Canons) كما هو مرقوم في الخرائط

٤ تحصينات بيروت الجنوبيّة

كان السور يمتدّ من هذه الجهة على طول ساحة الشهداء حتى السراية على شكل زاوية واسعة الانفراج . الا انّ اخربة هذا السور التكبير قد بادت آثارها حتى انهُ لا يمكن بيان وجهها من الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة الى باب الدركة . ولا ريب انّ السور كان مارّاً تحت سوق تحتية مار جرجس الاثرية

امّا باب الدركة فكان موقعهُ على شارع اللنبي غربي الطريق داخل حانة بصة

لمتار من شارع الشهداء . وقد بقي منهُ غربيًّا آثار قنّة يعبر الناس تحتها طولها نحو سبعة امتار

وكان باب الدركة متقن العمل والناس يعجبونهُ كاجمل ابواب المدينة وكان في اعلاه كتابة يونانيّة بالشعر اليوناني نقلتها دائرة العاديات في بيروت الى حديقة ساحة البرج تجدها مع شرحها في ذيل تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٢٧٧)

ولدينا ثلثة تصاوير مرسومة من داخل الاسوار تبيّن هندسة هذا الباب وجوارهُ . اثنان منها للمصوّر مونفور (Montfort) والثالث للمصوّر لوهو (Lehoux)

ويلوح من هذه التصاوير التي رُسم منها اثنان شمالي شرقي باب الدوكة والثالث شماليهُ الغربيّ انَّ البناية كانت مربّعة تقريبًا وتُقسم الى قسمين يختلف زمانهما . فالقسم الخارجي يعلوهُ بُرجان مربّعان كان يجمع بينهما حائط كما يظهر على شبه واجهةٍ . ويؤخذ من اساس البناء وأغلاقهِ المختلفة اللون متاوبةً أنَّهُ من بناء العرب . امَّا القسم الداخلي فخالٍ من النقوش لواجهتهِ اربعة نوافذ بيضوية الشكل غير متساوية العلوّ . امَّا السور فهو على علوّ الباب في زاويتهِ الشماليّة الشرقيّة ويبلغ الى وسطهِ في الجهة الغربيّة . وبناؤهُ من جهتَيه على خطّ مستقيم لهُ في اعلاهُ موقفٌ للدفاع مع صفّين من الكوى لرمي القذائف وكانت شرفات مروّسة تدريجًا تعلو السور

ويُستدَلّ ايضًا من تلك التصاوير انَّهُ كانت على مدى السور ارزاقٌ مُهملة تراكم عليها الرمل . على انَّ مدخل باب الدركة قد تغيَّرت هيئتهُ في اواسط القرن التاسع عشر . فكان الداخل يرى من عن يمينهِ مسجدًا صغيرًا مبنيًّا بين الباب والحمّام التي هناك وموقعها اليوم في وسط شارع اللنبي وكان يرى من جهة الشرق السواري الثلث المدعوّة بسواري الاربعين التي يشير اليها السيّاح . وبقربها العين الجارية من راس النبع ولعلّها كانت عين بيروت الوحيدة ومنها كانت الحمّام تستمدُّ مياهها

وعلى مقربة الحمّام تُرى اليوم اخربة الكنيسة المسكوبيّة التي بُنيت منذ نحو ٦٠ سنة بنسبة الشقاق الذي حصل بين الروم الكاثوليك عند تقسيم الحساب الشرقي بالحساب الغربي . وبازاء هذه الابنية كان دير الكبوشيين القديم الذي اخلاهُ الرهبان سنة ١٨٧٠ . ولا يزال بعض الآثار والنقوش البنائيّة تدلّ على كنيستهم وبها كان مدفن رهبانهم وفي هذه الكنيسة كان مقام القنصل الفرنسوي الرسمي

وكانت بدنات توصل بين باب الدركة وباب يعقوب لم يبق منها الّا بعض جدران داخلة في ابنية حديثة. يظهر بينها خصوصاً قطعة طولها نحو ١٥ قدماً بازاء عين يعقوب وهناك موضع كان يجلس فيه الحرس لضرب العدوّ وهو على علو ثلثة امتار فوق الارض وكانت سبع كُوًى لرمي القذائف تحت خدمته. اما الجهة الخارجة الموازية للمدينة فقد تراكم عليها الرمل فبلغ علوّهُ الى علوّ الكوى المذكورة

وكان الرمل قد غمر باب يعقوب وهو اليوم معبر مبني تحت شارع السراية ينفذ الى غربيّ شارع فخر الدين . ويقيس هذا الباب حالًا مترين و ٧٠ سنتيمترًا في العلو ومثلهُ قياساً في عرضهِ . وهو يشبه في صورتهِ وتنظيمهِ بابي السراية والدبّاغة وسمك الحائط ٢٥ سنتيمترًا ولا تزال دفّتاهُ في مكانهما . وهما تتألفان من اخشاب ذات تقاطيع منقوشة من داخلها وهما مصفّحتان من الخارج بالحديد والمسامير البارزة الرؤوس وفي احدى الدفّتين خادعةٌ . وهناك بقايا عقود تبيّن انّ البناء كان متواصلًا الى جهة الشمال ينتهي الى سوق مسقّف . هذه الآثار كلها تُرى تحت الطريق الحالية

وعلى رأي جناب الكونت فيليب دي طرّازي انّ باب يعقوب المذكور اقامهُ الجزّار بدلًا من باب آخر كان موقعهُ على مسافة عشرين متراً في شمالهِ لأنّ الجزّار لمّا حاول ترميم اسوار بيروت سعى بتوسيع نطاقها وادخل في وسطها مساحات باترة . اما اسم الباب فمنسوب الى يعقوب الكسرواني الذي كانت دارهُ فوق هذا الباب . ويزعم البعض غلطاً انهُ دُعي بيعقوب نسبةً الى طبيب صيداوي اسمهُ يعقوب ابيلا سكن هذه الدار في اواسط القرن التاسع عشر وكان يعالج المرضى في فضاء الدار . ويعقوب هذا قد اشتهر بعد ذلك بصفة فتصل انكليزيّة في مدينتهِ صيداء وتوفي سنة ١٨٧٣ وكان ابن طبيب مالطي دخل في خدمة جيش نابوليون بونبارت لمّا كان محاصراً لعكّا

٥ تحصينات بيروت من جهة الغرب

هذه النقطة كانت اضعف مواقع بيروت اذ كان العدوّ يستطيع ان يقتحمها زاحفاً اليها من اعالي السراية الكبيرة حيث كان يشرف على كلّ المدينة قريباً منها وهو على علو ١٢٥ متراً من زاوية السور الجنوبيّة الغربيّة التي لا تعلو فوق سطح البحر الّا ٣١ متراً وهذا ما كان يستدعي تحصين المدينة من هذه الجهة بكل اتقان . فكان

السور مدعوماً هناك بسوار مربعة ضخمة وابراج قوية يبلغ عددها ثمانية على ما يلوح من خارطة ديليون الانكليزية سنة ١٨٤٢ . وكانت اقيستها ومسافاتها مختلفة . اما خارطة الجيش الانكليزي المرسومة سنة ١٨٣١ فانها تدلُّ على ثلثة ابنية مربعة مستطيلة وعلى برج من شكلها وكأنها تُدعى هناك بقصور قديمة

اما العلّامة راي فانهُ يشير الى تحصينات هذه الجهة الغربيّة حيث يقول « ان الصليبيين كانوا حصّنوا بيروت وقد بقي من اسوارهم بقايا ترى حتى اليوم في جهتها الغربيّة وكانت مدعومة ببروج منها مستديرة ومنها مربعة مستطيلة ولمامها خندق عميق منقور في الصخر » . وقد صوّر لوهو هذه الجهة من بيروت سنة ١٨٣٧

وهذا السور الغربي اقدم ما بقي من تحصينات بيروت الا انَّ آثارهُ باندة لا يستطاع الوقوف عليها بعد ان قُلبت هذه الجهة من المدينة وتحوّلت الى احياء جديدة . وقد أدخل البنّاؤون في الابنية الحديثة قطعتين من ذلك السور لا يكاد يمرّ بهما النظر . فالقطعة الواحدة في دكان رجل يشحذ السكاكين في شارع المستشفى . والسور هناك ذو ثلمة ضيقة تؤدي الى بئر في داخل البلد . والقطعة الثانية هي داخلة في دير الآباء الكبوشيين وهي اعظم شأناً سمكها بين متر و٢٥ سنتمتراً الى مترين و٩٥ س والبنّاؤون المحدثون قد خفّفوا ذلك السمك لمّا اتخذوهُ لبناء جديد . وقد فتح احد الباعة باباً سرّيًا في هذا السور ليمرّ بهِ من داره الى جنينته وقد رُفع امرهُ الى الحكومة آخرًا ولعلّ الدرهم الرنّان ينهي هذه الدعوى

ولمّا أُخرب هذا السور في مكان خورس كنيسة مار لويس اللاتينيّة ووُضعت لساس بنائه اكتشف الفعلة على قطعة من الفسيفساء تمثل ديكاً هي اليوم في دير الآباء الكبوشيين

ثمّ انَّ مفرق شارعي البوسطة وجورج بيكو يُدعى باب ادريس ويشير الى احد ابواب المدينة الذي كان مشيّدًا على امتداد حائط الآباء الكبوشيين أُطلق عليهِ هذا الاسم لأن احدى العيالى المدعوّة بادريس كانت تسكن فوقهُ . ولمّا قدم الفرنسويون الى سوريّة سنة ١٨٦٠ وانشأوا طريق الشام ارادوا ان يهدموا ذلك الباب وقسماً من السور ليلغوا الطريق الى البحر . الا انَّ ابا صالح ادريس صاحب الدار لم يشأ ان يتخلّى من ملكهِ قطعيًا فقال لهُ حينئذ والي بيروت كلاماً اصبح اليوم شبيهاً بالنبوّة:

«انك ستذكرني يوماً بالخير وتتمنّى لنفسي الرحمة اذا ما رأيت ما سيحصل من المنافع بفتح هذه الطريق»

وكان السور يمتدّ من باب ادريس الى شارع سوق الجميّل حيث كان باب المدينة الاخير المدعو باب السنطيّة قريباً من البحر وأمامهُ مقبرة السنطيّة التي تُرى آثارها شمال شارع الفرنسويين. وفي خرائط الانكليز في اواسط القرن التاسع عشر ترى بازاء الباب من داخل المدينة حقلاً من اشجار التوت كان يمتدّ على طول السور من البحر الى باب ادريس. وكان السور يمتدّ من باب السنطيّة توًّا الى صخرة الساحل وهناك كان ينعطف على خطّ مستقيم نحو الشرق ويبلغ الى الرصيف الذي كان يقفل المرفأ في القرون الوسطى. وللمصوّر مونفور صورة حسنة تدلّ على ذلك

فمن هذا النظر الاجمالي يمكن القارئ ان يتخيّل ما كانت عليهِ بيروت الى القرن السابق. فان حاضرة لبنان الكبير لوقوعها بين الشرق والغرب كانت معرّضة لغارات الشعوب من عرب ودروز ومتاولة برًّا ولضربات الاساطيل الاوربيّة ومراكب قرصان الجزائر بحرًا فكان بعضهم يكتفون بغزوات موقتة وكان غيرهم يقصدون السلب والنهب. ولذلك ترى معظم تحصيناتها مجهّزة لردّ تلك الغارات لاسيّما بعد عهد الصليبيين وليست غايتها النجاة من حصار طويل ومن ثمّ تجد تلك التحصينات ضيقة لكنها كافية لتأمين اهل البلد وصيانة حياتهم الاقتصاديّة. امّا غايتنا نحن من انشاء هذه المقالة فانّما كانت بيان حدود المدينة القديمة في عهد العرب مع تعريف ما بقي حاضرًا من اخرتها التي نتمنّى حفظها وصيانة بقاياها الاثريّة

الاحاديث المطربة لابن العبري

سمى بتشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

٧ احاديث زهاد

٢٧١ اتفق حضور بعضهم في بيت الصلاة مع والي البلدة فقال له الوالي : اطلب ما هي حاجتك . فقال : انّ في بيت الله لا ينبغي الطلب الّا من الله وحدهُ

٢٧٢ قال بعضهم : أخمدوا نار غضبكم وشهواتكم بتذكّركم نار جهنّم

٢٧٤ قال بعضهم : ليس يوجد على الارض انسان الّا يريد ان يكون اصلح حالًا ممّا هو عليه وبهذا تعرف انّ هذا العالم هو عالم الهموم والشرور

٢٧٥ قال آخر : انّ شهوات هذا العالم التي ذهبت هي كاضغاث الاحلام وامّا المنتظرة فهي في شكّ وريب عن حصولها

٢٧٦ قال آخر : انّ الذين يخدمون الله فالله يخدمهم والذين لا يخدمونهُ فيؤدون خدمتهم للعالم بلا جدوى (١

٢٧٨ رأى بعضهم رجلًا يتصدّق بمالهِ قدّام الناس فقال له : ان اردتَ ان تذّخر لنفسك كنزًا فليكن باخفية لئلّا يراهُ الناس فيسلبوهُ

٢٧٩ وعظ بعضهم ملكًا فقال : انّ هذه الكنوز المذخورة في خزانتك لو بقيت في يد مَن سبقك لمّا وصلت الى يدك فتاجر اذن لنفسك بمالٍ ليس هو لك ولا يثبت لديك بعد ان صار اليك

٢٨٢ سُئل بعضهم كيف لمكنك ان تترك شهوات هذا العالم ؟ فاجاب : لمّا رأيتُ انّ الموت يخطفها مني غصبًا جحدتُها طوعًا

٢٨٤ سُئل بعضهم : كيف يكون البشر في يوم القيامة فاجاب : انّ الصدّيق يكون كالخروف الذي خرج للمرعى . والتائب مثل الخروف الضائع وقد وُجد . امّا المنافق فيكون كالخروف الذي عضّهُ الكلب الكَلِب اعني به الشيطان فلماذا يُربط بالسلاسل

(١ في البرزاتية يحتاج الى تحرير فكأنّهُ وقع من الاصل السرياني بعض الالتباس فتشوّه المعنى

٢٨٥ رأى بعضهم ملكاً يختفُ حولهُ الجند والشاكرية ليخفروهُ فقال : لو لم يكن هذا مذنباً الى الناس لما خاف منهم على نفسهِ

٢٨٩ قال رجل لناسك : ما أعظمَ نُسكَك . فقال : انت اعظمُ مني نسكاً لاني انا زهدتُ في العالم الغير الثابت الذي ستزهد بهِ مثلي عند موتك اما انت فقد زهدت في العالم الذي لا يزول وبغضتهُ فانت اذن زاهدٌ في كليهما وانا بواحد منهما

٢٩١ عُنِف احدهم لكثرة صدقاتهِ فقال : ليت شعري كيف تجهلون انَّ الذي يريد ان يرحل من بيت الى آخر ينبغي لهُ ان لا يترك شيئاً في بيتهِ القديم

٢٩٢ قال ملك لبعضهم : ما لك لا تسجد لي وانت من عبيدي ؟ فقال لهُ : لو علمتَ انك عبدٌ لعبدي لما قلتَ هذا لاني انا متسلط على الشهوات العالية وقد قهرتُها وانما انت فقد تسلطتْ عليك وقهرتْك فصرتَ لها عبدًا

٢٩٣ قال احد الاغنياء لناسك : كيف نرى وجهك باشًا وانت فرح دائماً كأنك عائش ارغدَ عيش وبأطيب هناء فقال : يجب لي ان افرح ولك ان تحزن لانَّ احزاني تذهب وافراحك انت تنتهي

٢٩٨ سُئل آخر : ما هو هذا العالم ؟ فاجاب : ضحكةٌ لمن جرَّبهُ

٣٠٣ دخل لصٌ لبيت ناسك في الليل فلما لم يجد عندهُ شيئاً قال لهُ : اين هو مقتناك ؟ فاجاب : اني وضعتهُ حيث لا يمكنك ان تدركهُ . ولوماً الى السماء

٣٠٤ قيل لآخر : لا تزال تلوم احدًا قطّ فقال : لاني لا اكفّ عن لوم ذاتي ولا دقيقةً واحدة

٣٠٥ قال احد الولاة لزاهد : ما لك لا تأتي الينا اصلًا ؟ فقال : لاني لا أجد عندك ما أريد الحصول عليهِ ولا تجد انت عندي شيئاً اخاف ان تخطفهُ مني

٣٠٦ كان آخر يقول : تأملوا ماذا يفيد الغنى لمن يقتنيهِ : اوَّلًا الخوف من الوالي ثمَّ الحرصُ من اللصّ والحسد من المحبّ والبغض من الولد اذ يؤمَّل موت ابيهِ لارثهُ

٣٠٨ قال آخر : ليكثرنَّ خوفك من الله كأنك لم تعمل برًّا قطّ وليكثرنَّ رجاؤك فيهِ كأنك لم تخطئ قطّ اليهِ

٣١١ قال آخر : انَّ الفردوس هو مكاننا الاوَّل فلما طُردنا منهُ صرنا نتوق العَوْد اليهِ . فنحن الآن نشتهي الرجوع الى مقرّ مَوْلدنا والنجاة من غربتنا

٣١٤ سُئل سائح: لماذا تستند دائماً على عصاً ولبستَ انت مريضاً ولا شيخاً عاجزاً؟ فاجاب: لاني مسافر وعابر طريق وانتظر زماناً يليق بالرحيل - ومن المعلوم انَّ العصا هي علامة مَن يروم السفر

٣١٧ راى بعضهم انساناً قائماً بين مقبرة ومزبلة فقال لهُ: تأمل يا هذا اين انتَ واقف فانك بين خزانتين عجيبتين الواحدة يخزنون فيها الناس والاخرى يجمعون فيها شهواتهم

٣١٩ قال ملكٌ لآخر: أطلب ما تريد أُعطيكَهُ فقال: أريد حياةً بغير موت وعمراً بغير شيخوخة وغنًى لا ينقص وسروراً لا يخالطهُ حزنٌ. فقال الملك: لا أقدر ان أُعطيك ما طلبت. فقال: دعني اذن ان اطلب ممن يقدر ان يمنح هذا كلَّهُ. واومأ بهِ الى الله سبحانهُ وتعالى في العالم الآخر

٣٢٠ قال آخر: الشيء الذي لا تريد ان تقتنيهُ غداً اتركهُ اليوم وما تريد ان تجدهُ غداً احرص اليوم على جمعهِ

٨ احاديث بعض الاطباء

٣٢٩ قال طبيب: انَّ الاكل الذي لا يُهضَم يأكُلُ آكِلَهُ فلا تأكل اذن الَّا ما يمكنك ان تهضمهُ

٣٤٧ سُئل بعضهم: ما هو الطبّ؟ اجاب: هو حفظ الصحّة بالمشابهات ودحض المرض بالمضادّات(١)

٣٥٨ دخل طبيب الى مريض أبله فسأله: كيف ترى نفسك اليوم وما الذي تشتهي؟ فقال لهُ: انا اليوم بخير واشتهي كثيراً ان آكل ثلجاً. فقال لهُ الطبيب: انَّ الثلج لا يوافقك لانهُ يسبب لك سعالاً. اجاب المريض: انا امصُّ ماءهُ فقط. وارمي الثلج كما افعل بالتفّاح

٣٦٢ دخل رجلٌ من العظماء على الملك وعندهُ طبيبهُ فسأله الملك: كيف هو ولدُك الجديد وكم بلغ من العمر؟ فقال لهُ: يا سيّدي الولد بخير وعمرهُ سبعة ايام. قال الطبيب: كيف هو من حيث عقلهِ؟ فقال الرجل: ألم تسمع اني قلتهُ للملك انهُ ابن

(١) هذه النكتة لم يذكرها الشارح بالانكليزية فتنزهنا بقولنا انَّ الطبّ يوقف على حفظ الصحّة في الاصحاب وإيقاع المرض في الاعداء

سبعة أيام فما لكَ تسألني عن عقلهِ؟ اجاب الطبيب: انَّ المولود الحادّ النظر القليل البكاء يدلُّ على انهُ عاقل

٣٦٣ اشتغل رجل بالتصوير ثم تركهُ وصار طبيباً فسُئل عن ذلك فاجاب انَّ خطأَ التصوير ترمقهُ الاحداق وتميّزه الاعين امَّا خطأَ الطب فتغطّيه الارض ويستره القبر

٩ احاديث موضوعة على السنة الحيوانات

٣٦٩ قيل انَّ الثعلب استهزأ يوماً باللبوة لانها لا تلد في السنة طول عمرها الَّا جروًا واحدًا. فقالت لهُ: حقًّا ولكنَّهُ اسدٌ

٣٧١ وقيل انَّ ذئباً وثعلباً وارنباً وجدوا خروفاً فقال بعضهم لبعض: انَّ الشيخ فينا يأكلهُ. فقال الارنب: انا ولدتُ قبل آدم. فقال الثعلب: حقًّا ولكن انا كنتُ هناك حين ولدتَ. فنهض الذئب وخطف الخروف وقال: انَّ قياسي ومقامي يشهدان على اني اقدم منكما. واكلهُ

٣٧٨ اجتاز ملك مع فيلسوف بقرب خربة واذا فيها بومتان فقال الملك للفيلسوف: يا ليت شعري من يستطيع ان يخبرني باذا تتحدثان؟ فقال الفيلسوف: انا أُخبرك ان حلفتَ لي أن لا تفعل بي مكروهاً اذا صدقتُك. فحلف لهُ فقال: لاحدى البومتين ولدٌ طلب الزواج بابنة الاخرى واعطتها كهر ابنتها مائة ضيعة خراب فلم ترضَ امّ الفتاة وطلبت اكثر من ذلك فاجابت البومة: امهليني سنةً ولنا اعطيكَ الف ضيعة خربة بفضل هذا الملك الذي يسوس المملكة. فلمَّا سمع الملك ذلك أنعظ وصار يسلك بالعدل

٣٨٠ قالت الخفّاء لأُمها: لماذا يبصق الناس عليَّ حيثما توجّهتُ؟ قالت أُمها: انهم يفعلون ذلك لاجل جمالكِ وسوادكِ الحالك وطيب رائحتكِ

٣٨١ صاد كلبٌ ارنباً فقال لهُ: انك لستَ بقوّتك غلبتني بل لضعفي وان لم تصدّق قولي فاذهب وجرّب روحك مع الذئب

٣٨٤–٣٨٥ قال الثعلب: لو كان هب الثعلب حلوًا لَما تركهُ الناس يتبدد كاطور في البرّيّة. وقال يعلّم اولادهُ: اذا رأيتم الكرْم حاملًا والناطور نائماً والنهر دافقاً فأبشروا بالتنيسة والشبع

١٠ احاديث وغباء كرماء

٤١٤ قالت امرأة رجل كريم لزوجها: لم أرَ قطّ شرًّا من اصدقائك الذين في زمن يسارك يلازمون صحبتك وفي زمن فقرك يبعدون عنك. فاجابها: انّ هذا من حسن نيّتهم لانهم لا يريدون ان يثقلوا علينا في زمن ضيق يدنا واعوازنا

٤١٥ تقدّم رجل الى بعض الكرماء وسألهُ منحةً ووضع اسفل عكّازه المتّكئ عليها على رِجل الكريم فضغطها سهوًا. فلمّا اصاب برغوبه وذهب قال لهُ الحضور: كيف احتملت الالم ولم توبّخ هذا السائل عند وضعه عكّازهُ على رجلك؟ فقال لهم: انني خشيتُ ان اقول لهُ شيئًا فيستحي ويكفّ عن سؤالي

٤١٧ مرض احد الكرماء الاغنياء مدّة أيام فلم يدخل اليهِ احد ليعودهُ فقال للذين حولهُ: لماذا لم يأتِ الينا احد؟ فقالوا: لانهم يخافون ان تطالبهم بما لك عليهم من الديون. فلمّا سمع هذا امر منادياً ان يخرج الى الشوارع فيصرخ انّ الذين عليهم دين لفلان هم في حلٍّ منهُ. فغصّت دارهُ الماء من كثرة الزوّار

٤١٨ كان احد الاغنياء اذا طلب منهُ فقير شيئًا ولم يعطهِ يدفع لهُ صكًّا بخطّ يدهِ انهُ مديون لهُ

٤٢٦ سُئل بعضهم ما هو الكرم؟ فقال: هو اعطاء الحاجة للمحتاج في وقت حاجتهِ

٤٢٧ قدم احد الشعراء على امير فاستقبلهُ الخدم بكل كرامة وادخلوهُ على الامير فمدحهُ واجزل الامير صلتهُ. فلمّا اراد الخروج لم يشيّعهُ احد من خدم الامير فاخذ يلومهم على تقصيرهم فقالوا لهُ: اننا لا نقوم بخدمة من يخرج من عندنا بل نرحّب بمن يأتي الينا لأننا نفرح باستقبال الضيوف ولا نرى كرامةً في تشييعهم. فتعجّب الشاعر من عقلهم وسعة صدورهم فاثنى عليهم بقولهِ انكم احق بالمديح من مولاكم

١١ احاديث بوقوام مختلفة

٤٢٩ قال بعض الشعراء لبخيل مخلوق لم لا تدعوني لاتناول عشاءك؟ فاجابهُ لانك تأكل كثيرًا وتبلع سريعًا وما تأكل للقمة حتى تبتلع الاخرى. فقال الشاعر:

وما تطلب مني أتريد اني اذا اكلتُ لقمة لقوم. فاسجد لك ثم أرجع لآخذ الأخرى

٤٣٤ قال ندماء احد الملوك لمولاهم: مُر بان تُعطى لنا حِلامةٌ حتى اذا رايناها نخرج من عندك فتستريح لان هكذا كانت عادة والدك الملك. فاجابهم: هذه علامتي اذا سألتُ الطباخين «ماذا هيأتم» فلا يعُد احد منكم يطيل الجلوس عندي

٤٣٨ اشرَفَ بخيل على الموت فاوصى ابنهُ قائلا: كُن مع الناس في تصرُّفك كاللاعب بالنرد الذي يسعى بان يحفظ الذي لهُ ويأخذ الذي لغيره بالصنعة او الحيلة

٤٤١ نظر بخيلٌ ابنهُ يأخذ خبزًا ويضعهُ في طاقة كان يخرج منها دخان ثمّ يأكل الخبز فسألهُ ابوهُ عن ذلك فقال لهُ: يا ابي انني اشمّ رائحة طعام يخرج من هذه الكوّة فاضع فيها خبزي ليصيبهُ شيءٌ من رائحة الطبيخ فآكلهُ. فلمّا سمع ذلك ابوهُ ضربَهُ قائلًا: ويحك أتريد منذ الان ان تعتاد التلذُّذ في الأكل؟

٤٤٣ جاءت ابنة امرأة بخيلة الى حانوتيّ فقالت لهُ: تقول لك امي خذ هذا الرغيف وأعطنا اصغر منهُ واعطنا بالباقي جوزًا

٤٤٨ خاصم بخيل جارهُ وشتمهُ. فسألهُ رجلٌ: لماذا تخاصمهُ؟ فقال: اني اكلتُ رأسًا مسلوقًا ورميتُ العظام على بابي لكي أُفرح احبابي وأُحزن اعدائي اذا رأوني اتلذَّذ فقام هذا واخذ العظام فألقاها على بابه

٤٥٠ قيل انَّ ثلاثة بخلاء استأجروا بيتًا واحدًا وسكنوهُ جملةً وكانوا يشترون زيتًا للسراج لكنَّهم كانوا اذا أتى احدهم دَفْعَ حصتهِ من ثمن الزيت يغمض عينيه بمنديل الى ان يناموا ويطفئوا السراج

٤٥١ طلب ملك من احد الاحياء ان يكتب كتابًا في مدح البخل فكتبهُ وقدَّمهُ للملك وكان الملك بخيلًا. فلمّا قرأهُ سُرَّ بهِ ثمّ كتب لمؤلفه: انَّا لم نشأ ان نعطيك شيئًا لئلَّا نُبطل مشورتك الصالحة الرابحة. وهكذا ذهب تعبهُ سدًى

٤٥٥ قيل لبعض البخلاء: ما احسن الايدي على المائدة. فاجاب: لو كُنَّ مقطوعات

٤٥٩ كان بعض البخلاء لا يأكل الّا في نصف الليل فسُئل عن ذلك فاجاب: انَّ في هذا الوقت يهدأ النبّاب ولا نضمّ لنا فمَن يدقّ الباب

٤٦٠ قال فيلسوف لغنيّ: انك تظنّ انك تحرص على مالك من سوء

وانا اراك اسخى به من خيرك لانك بعد قليل تموت ويتبذّر غناك على وَرَثتك سواء كانوا ممّن اراحوك ام ممّن اتعبوك

٤٦١ مرض بخيل وجاء يوم البُحران ولم يعرق فخاف عليه خدّامهُ واخبروا الطبيب بالامر فقال لهم: اذهبوا وكلوا امامهُ من الخبز الذي يأكلهُ عادةً فاذا رأى ذلك يسرع العرق الى جسمه

٤٦٢–٤٦٣ كان آخر اذا حصل على درهم يقبّلهُ ويعانقهُ قائلًا: «انت ابي وامي واخي وحبيبي كم من مدينةٍ دُرتَ ومن بحرٍ قطعت ومن غنيٍّ افقرت ومن صعلوكٍ اغنيت». ثم كان يلقيه في كيسه قائلًا: ادخل الى بلدةٍ لا يمكنك الخروج منها فتعود تتعذّب فاستريحَ الآن فلن يقلق لاجلك الجنود في الحروب ويتجشّم التجّار لاجلك الاسفار وتسقط بسببك في العار بنات الاحرار

٤٦٥ قال بخيل لعبده: قدّم المائدة واغلق الباب. فقال لهُ العبد: يا سيّدي بل اغلق الباب اوّلًا ثم أُقدّم المائدة لئلّا يدخل احد قبل ان اغلق الباب. فقال لهُ سيّده: نعمَ الرأي وانت حرٌّ لاجل عقلك الثاقب فلا تَعُدْ عبدًا لحسن تدبيرك

٤٦٧ اخبر بعضهم قال: كنتُ في بعض الأيام آكل عند رجل غنيٍّ شديد الامساك فتقدّمتُ الى المائدة قطّ فاردتُ ان آخذ قطعة من الخبز وارمي لها فقال لي: اتركها لانها ليست لنا بل لبعض الجيران

١٢ احاديث لارباب الصنائع

٤٦٩ تقدّم رجلٌ الى حلّاق وقال لهُ: احلق رأسي وأوجز عليه المؤنى حسنًا واحذر ان تجرح اذنيّ ولا تدع شيئًا من الشعر في مكانٍ ما. فقال الحلّاق: كن مطمئنًّا فاني سانظّف رأسك حتّى انّ كلّ من يرى منتك يشتهي ان يصفعهُ بيده

٤٧٦ ذهب آخر الى حكيم اسنان ليقلع لهُ سنًّا يوجعهُ فطلب منهُ درهمًا فقال: لا بل نصف درهم. قال: لا ارضى باقلّ من درهم ولكن إكرامًا لك ان شئت اقلع لك سنًّا آخر ايضًا ولا آخذ اكثر من درهم

٤٧٨ جاءت امرأة الى نحّاس بجرّةٍ مثقوب ليصلحهُ فطلى الثقب بقليل من الطين وسوّدهُ بشجّار ودفعهُ لها. فلمّا اخذتهُ المرأة ووضعت فيه ماء ترطّب ذلك

الطين وبدأ الرجل يوشح فرجت الى الحمام وقالت له : ماذا صنعت فان الرجل لم يزل كما كان سابقاً . فقال : لعلكِ صببتِ فيه ماء . وانا ظننتُ انك تبيضين فيه حنطة او صوفاً فان قصدتِ ان تجعلي فيه ماء فخذيه الى من هو احذق مني ليصلحهُ لكِ

جاء مفسّر احلام من تكريت الى بغداد فسُئل لماذا تركتَ بلدك واتيت الى ها هنا ؟ فاجاب انَّ البقّ في تكريت لا يدع اهلها ينامون ولهذا لا يرون احلاماً ولا يحتاجون الى مفسّر (ليست هذه النكتة في الاصل السرياني)

٤٨٠ اضاء حانوتيٌّ سراجاً في النهار ووضعهُ قدّامهُ فسألوهُ عن هذا فقال : اني ارى كلّ الذين حولي يبيعون ويشترون وانا لا يقربني احد فظننتُ انهم لا يرونني فاوقدتُ السراج ليروني

٤٨٢ كان آخر يبيع فجلًا فجعل ينادي : خذوا كلوا من هذا السكر ! احلى من العسل ! فتقدّم اليهِ رجل وقال : عندنا مريض اشتهى الفجل الحامض هل عندك منهُ ؟ . قال لهُ : دونك هذا الفجل الذي قدّامي فهو مطاربك ولا تصدّق قولي لانَّ كل ما عندي لشدّ حموضةً من الخلّ والليمون .

١٣ احاديث بعض الظرفاء

٤٩٠ كان رجلٌ يقول انَّ الخير والشرّ من الله وليس للانسان فيهما إمكان فقال لهُ بعضهم : وانا ازيف معتقدك بفعل صغير فاني لوضع يدي على عنقك بهذا السيف واسألك : هل يمكني ان اضرب عنقك ؟ فان قلت نعم ، خرجتَ عن رأيك واثبتَّ العمل للانسان . وان قلتَ لا ، قطعتُ رأسك وبيّنت لك اني قادر

٤٩٢ قال آخر : انا ولبني توأمان فهو صار كبيراً كبيراً وانا صرتُ صغيراً فكيف اذن يصحّ رأي المنجّمين فهذا دليل على كذبهم

٥١٠ قيل لآخر وكان يأكل سمكاً وحليباً ألا تخاف ان تجمع في معدتك بين السمك والحليب ؟ فاجاب : وكيف يحسُّ للسمك بالحليب وهو قد مات

٥١٣ دخل آخر على قوم سكارى فضربوهُ بقيل له : لمَ لم تشتمهم ؟ اجاب انهم سكارى ولا يفهمون فيضيع شتمي لهم جملة

٥١٨ اختلس بعضهم رجلًا يقوله ولدتهُ امهُ سرقتَ في الليل وأنت تعلم ان الكلاب لا تؤذيك فأقرّ في وجههم المزمور السفي في الآية خلّص يا رب نفسي من الكلاب

واحدتي ، فقال السامع : بل دَنُهُ يأخذ في يدهِ ايضاً حصاً لانه ليس الكلاب كلها تفهم المزامير الّا القارئين منها فقط

٥٢٢ وقعت تهمةٌ على رجل فحكم عليهِ القاضي بان يُضرَب خمسين سوطاً . ثم عُرف بعد ذلك انهُ مظلوم فقال لهُ : قد اخطأنا في جلدك وانت بريء . فقال القاضي : اكتب في سجلك ما وقع عليّ ظلماً حتى اذا عملتُ زلّةً تحسب لي هذه الجلدات ولا تعود تضربني ثانيةً

٥٢٤ كان آخر يبغض الباذنجان ويأنف من أكله فدعاهُ يوماً احد الرؤساء الى الغداء فوجد كلّ طعامهِ مصنوعاً بالباذنجان . فقال للخادم : هاتِ لي كوز ماء لأشرب لعلي لا اجد فيهِ باذنجانةً

٥٢٧ دُعي آخر الى الطعام عند رجل من الرؤساء بخيل فتدفّق على ثوبهِ شيء من الطعام فقال الرئيس للخدام : اغسلوا لهُ ثوبهُ . فقال الرجل : كلّا يا سيّدي انّ ثوبي لا يحتاج الى غسيل لان طعامك لا يوسّخ (اراد انهُ لا دَسَم فيهِ)

٥٢٩ قيل لآخر : انّ القمح اليوم غالٍ في السوق فقال : انا لا أبالي لهذا لاني اشتري خبزاً مخبوزاً

٥٣٠ رأى رجلٌ صديقاً لهُ مبتلًى بوجع العينين فسألهُ بماذا تطيّب عينيك ؟ اجاب : بزامير داود وصلوات امّي الراهبة . فقال لهُ : ولا بأس لو اضفتَ الى ذلك قليلًا من الكحل

١٤ احاديث قوم جهال

٥٣٣ سمع رجلٌ عن انسان انهُ مات فلمّا رآى اخاهُ سألهُ قائلًا : انت الذي متَّ ام اخوك ؟

٥٣٤ مات ابنُ لآخر فحزن عليهِ جدًّا واراد ان يقتل نفسهُ ثم استشار واحداً من اصحابهِ قائلًا : لعلي ان قتلت نفسي يلحقني ضررٌ من الوالي (١)

٥٣٨ افتقد آخر ابن جارهِ المريض فقال لابيهِ : ان مات هذا فلا تصنع كما صنعت مع ابنك الاكبر فلم تطعمني لامشي في جنازتهِ

(١) لم يُحسن الاديب نقله من السريانيّة الى الانكليزيّة فجعلها قول جاهل اذ قال « if I kill myself the prince will suffer sorrow on my account »

٥٤٦ كان آخر غنيًا ببلد فاذا سألهُ فقير حمنةً يقول : اذا كان الله لم يُعطهِ فانا كيف اعطيه ؟

٥٤٧ ولد لبعضهم ولد فدعا المنجم ليُصير طالعهُ وقال لهُ : اريد منك ان تُبدي نجمتهُ في عطارد لاني سمعتُ ان المولود بهذا النجم يصير كاتباً

٥٤٩ تأمل آخر القمر في الرابعة عشرة من الشهر فقال : شهر مبارك . فقيل لهُ : كيف لم ترَ الشهر حتى اليوم . فقال : اني لم اكن في المدينة فكيف اراه

٥٥١ اجتاز آخر بصيادي سمك فقال لهم : هذا الذي تصطادونهُ طريٌ ام مالح ؟

٥٥٢ سأل بعضهم تلميذهُ في اي يوم من الاسبوع وقع خميس الاسرار في العام الماضي . فقال التلميذ : على ظني انهُ وقع يوم الثلاثاء

٥٥٣ خرج احد الولاة ليزور القدس وكان مسرعاً ليصل قبل عيد الفصح فقال لهُ احد عبيدهِ : لماذا تقتل الخيل وتُتعب الناس الذين معك . اكتب لاهل القدس ان يؤخروا العيد الى ان تصل

٥٥٦ سُئل آخر لما ماتت امرأتهُ كم ستةٍ عمرها ؟ فاجاب : لا اعرف على التحقيق الا اني اعلم انها ولدت في الزمن الذي تكثر فيهِ البراغيث (١

٥٥٧ كان آخر راكباً حماراً فلم يمشِ تحتهُ فحلف انهُ لا يطعمهُ شعيراً تلك الليلة . فلما صار المساء قال لاجيرهِ : ضع لهُ نخالة شعير ولا تُعلمهُ اني قلتُ لك كي يعود يخاف مني

٥٥٨ قال بعضهم : كنتُ اليوم في جنازة ابن فلان فسألوهُ : اي من اولادهِ مات ؟ فاجاب : كانوا اثنين فمات الاوسط

٥٥٩ قال آخر لجارهِ : رأيتُ هذه الليلة في حلمي والي مدينتنا يحادثك وينظر اليَّ فأخبرني : ماذا قال لك عني ؟

٥٦٤ اخبر بعضهم فقال : ذهب ابي ليزور القدس مرتين ومات فيها لكن لا ادري أمات للمرة الاولى او الثانية

(١ الحجب انَّ المتن يوديج ترجم « البراغيث » وفي السريانية ﻣﻮﻟﺪﻫﺎ « باليمون » يكتب (ص 143) « She was born at the time when oranges were plentiful »

٥٧٢ عادت عجوز مريضاً فقالت لاهله: «صدّقوني اني ضجتُ كثيراً ولم يَعُد يمكنني ان أروح وأجيء في كل وقت . فاذا مات مريضكم اسأل الله ان يرحمهُ ويبقي حياتكم ولا تلوموني ان لم آتي فاحضر دفنهُ

٥٧٣ طار لاحد الامراء صَقر فقال: اقفلوا ابواب المدينة حتى اقبض عليهِ

٥٧٧ مدح شاعرٌ احد الولاة فقال لهُ: اني لا اقدر ان امنحك شيئاً من عندي ولكن اذا أذنبتَ صفحتُ عن وِزرك

٥٨٦ نظر آخر القراريج التي في بيتهِ فقال: متى نمرض فنأكلكِ ونستريح من وجع رأسك

٥٨٨ طلب بعضهم من احد اصحابهِ سَرجاً يستعيرهُ لفرسهِ فقال لهُ: صدّقني اني في هذه الساعة تولّتُ عنهُ فاصبر حتّى يستريح

٥٩٠ دخل رجلٌ على بائع ثلج واخذ قطعةً منهُ فذاقها وقال لهُ: أما عندك أبرد من هذه؟ فأعطاهُ قطعةً اخرى فلمّا ذاقها قال: بكم تبيع من هذا. فاجاب القطعة من الاوّل بدانق ومن الثاني بدانق ونصف. فقال: اذن انا اخذ من هذه يسيراً لاجلي ومن الاولى لاهل بيتي

٥٩٤ سألوا آخر: كم سنةٍ عمرُكَ؟ فاجاب: لست اعرف ولكني سمعتُ امي تقول: ولدتَ قبل نضج الحصرم واخوك اكبر منك بشهرين ونصف سنة

٥٩٥ كان لآخر دارٌ يشترك فيها مع رجل آخر فقال: اريد ان ابيع النصف الذي لي واشتري النصف الآخر لتصير الدار كلها لي

٥٩٧ وقعت ابنةُ لآخر في الجب فقال لها: لا تبرحي في مكانك حتى آتي بمن يُصعدكِ

٥٩٨ سألوا آخر عن يوم مولدهِ فاجاب: انا ولدتُ يوم احد الثمانين بعد عيد القيامة بسبتين

٥٩٩ كان آخر يُصلي فيقول: ربّي والهي اغفر لي ولامّي ولاختي ولامرأتي. فسألوهُ: ولِمَ لم تذكر اباك؟ فاجاب: لاني كنتُ صغيراً لما مات فلم اعرفهُ

٦٠٠ قال آخر في صلاتهِ: يا ربّ أعطني خمسة آلاف دينار وانا ادفع من مالي الفاً للمساكين. وان كنت لا تصدّقني اعطني اربعة آلاف والالف الآخر أعطهم اياها

انت من يدك الى يدهم

٦٠٥ مرَّ بعضهم بأذنة للسلمين فقال لرفيقهِ : ما اطولَ ما كان الناس الذين بنوا هذه المنارة ! فاجابهُ رفيقهُ : يا ابله كيف يكون انسان بهذا الطول ولكن بنوها على الارض ثمَّ اقاموها

٦١٥ كان آخر يكسّر لوزاً فطارت لوزةٌ من يدهِ فقال : سبحان الله انَّ اللوز ايضاً يهرب من الموت

٦١٣ كان احد الرؤساء راكباً في الطريق مع قوم فقال لهم : ابعدوا عني ساعةً فانَّ لي كلاماً اريد ان اقولهُ مع نفسي

١٥ احاديث بعض المجانين

٦٢٣ دخل بعض المجانين الى احد الرؤساء فقدَّم لهُ خبزاً لا غير فقال : اني آتيكم في يوم عيد لعلي اجد عندكم لحماً

٦٢٤ قال آخر : اني دخلت يوماً الى البيمارستان فوجدتُ هناك مجنوناً مقيَّداً بسلاسل حديد فأخرجت لسانهُ لساني وحلقتُ عيني . فلما رآني فعلت هكذا نظر الى السماء وقال : سبحان الله تعالوا انظروا لمن تركهُ الاطبَّاء بلا قيود ولمن قيَّدوا بالسلاسل

٦٣٠ قيل لآخر : اعدد لنا المجانين الذين في حمص فاجاب : هذا يصعب لكثرتهم فان اردتم اني اعدُّ لكم العقلاء الذين فيها وهم قليلون

٦٣١ لبس احدهم فروةً وقلب ريشها الى خارج فسُئل عن ذلك فاجاب : لو كان ريش الفروة الى داخل أصلحَ لما خلقهُ الله الى خارج في الغنم

٦٣٤ قال رجل لمتوه : خذ لك دينار فضَّة واعضِ احصد حوضي في زرع الملك . فقال لهُ : انا لا يمكنني ان اعمل عملَين وحدي بل انا آخذ الدينار وانت امضِ واحصد ليكون العمل سهلاً عليَّ وعليك

٦٤٧ كان آخر يأكل تمراً بنواهُ فسُئل عن ذلك فاجاب : هكذا وزنهُ طيّ بائعهُ

٦٤٨ كان مجنون اذا حضر دفن ميت يتعصبهُ كفن عليه يدورهم قائلاً اجد الاغنياء فاعطاهُ الله درهمين فاخذهما وقال لاهل الميت خلا تتعبوا لكم علي حقاً ساحسبهُ لكم اذا مات منكم واحد آخر

٦٤٣ وقف آخر عند عامود طويل أملس وقال : من يعطيني درهماً واحداً لأصعد الى رأسه . فلمّا اعطوهُ الدرهم اخذهُ وقال : هاتوا سلّماً . قالوا لهُ : لم نشارطك على سُلّم . قال لهم ولا شارطتوني بغير سلّم سوى ان اصعد فقط

٦٤٤ اجتاز آخر في سوق البزّازين فنظر جمعاً كبيراً من الناس امام حانوت قد نُقب في الليل فتقدّم هو وتأمل الثقب وهزّ رأسهُ وقال : انكم كلكم لا تعرفون من فعل هذا أمّا انا فاعرفهُ لكني لا اقول لكم حتّى تشبعوني بثلث أقق خبز ورأسين مسلوقين فاذا شبعتُ اخبرتكم . فقال القوم بعضهم لبعض : لا عجب ان كان هو يعرفهُ لأنّهُ طول الليل يدور في الاسواق ولا يختفي عنهُ اللصوص اذا رأوهُ وهم يعرفونه انهُ مجنون . فلمّا اتوا اليهِ بما طلب واكل وشبع قام قدّام الثقب وقال : كلكم صبيان ولا تعرفون من عمل هذا ان هذا عملُ اللصوص . قال هذا ومضى راكضاً

١٦ احاديث اللصوص

٦٥٤ سُرقت لبعضهم امتعة فقالوا لهُ اتّكل على الله وعلى الانجيل المجيد فهو يكشف لك اللص فاجاب : لو سمع اللصوص الانجيل لما نهبوني فقط بل قتلوني واهلكوني لانهُ جاء في الانجيل انّ السارق ليس يأتي الّا ليسرق ويقتل ويُهلك

٦٥٦ كان آخر يسرق الاولاد ويبيعهم ولمّا سُئل عن ذلك اجاب : اني اسرق اولاد الناس لانهم سيقومون جميعهم يوم القيامة ولذا طالبني بهم والدوهم اقول لهم : ها هوذا اولادكم خذوهم ولكن ان سرقت ذهباً او متاعاً من اين لي ان ارُدّهُ لهم اذا طالبوني بهِ يوم القيامة

٦٥٨ دخل اللصوص بيتاً في الليل وابتدأوا يفتشون على شيء يأخذونهُ فلم يجدوا فقال لهم صاحب البيت : يا شباب لا تتعبوا انّ الذي تطلبونهُ في الليل انا اطلبهُ في النهار فلا اجدهُ

٦٦٤ سرق آخر حماراً واخذهُ للسوق ليبيعهُ فسُرق منهُ فلمّا سألوهُ بكم بعت الحمار اجابهم : برأس مالهِ

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

علائق الموارنة واليسوعيين في اوائل القرن السابع عشر (١)

كانت سفارة الاب دنديني خاتمة الصلات الرسميَّة بين الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة في آخر القرن السابع عشر. الَّا ان الصلات الوديَّة زادت توثُّقاً بينهما بواسطة المدرسة المارونيَّة في رومية

فانَّ تلك المدرسة بعد انشائها بعشرسنين اخذت تؤدّي للموارنة خدماً مشكورة. وقد سبق ذكر تسقيف ثلثة من تلامذتها اعني موسى النيسي من العاقورة على قبرس وجرجس عميرة على اهدن ويوحنَّا الحوشبي على دير قنُّوبين . وكان موسى اقدمهم بين تلامذة رومية تولَّى تدبير كرسي الافقوسيَّة الى وفاته سنة ١٦١٤ . امَّا يوحنَّا فهو ابن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبيّ الحصروني فانه بعد دروسه في رومية كان دخل في الرهبانيَّة الدومنيكانيَّة وهو احد الناسخين للقراطيق السرياني اللاتيني الذي الَّفهُ جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ وقد امضى اسمهُ باللاتينيَّة على هذه الصورة Ego Fr. Joannes Baptista Leopardus (ابن فهد) Maronita e Libano Ord. Prædicatorum ثمَّ سفَّرهُ البطريرك يوسف الرزّي سنة ١٦٠٣ واوفدهُ الى الكرسي الرسولي لبعض شؤون الطائفة وكانت وفاتهُ سنة ١٦٣٢ في رومية. وامَّا جرجس عميرة فهو الذي بعد استقيمهِ على اهدن أقيم بطريركاً على طائفتهِ فدبَّرها عشر سنوات وتوفّي سنة ١٦٤٤ وفي ايَّامهِ كان الحبر الفرنسوي فرنسوا دي شطويل الذي كُثرت في الشرق ترجمتهُ

ومِمَّن شرَّف طائفتهُ المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة المكرَّم ابرهيم بن جرجس البشرّاني المولود في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والدهُ من بشرّي وهو من جملة التلامذة

(١) راجع المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٢٥٨-٢٧٢).

الموارنة الاولين الذين أُرسلوا من حلب الى المدرسة المارونيَّة في رومية فما لبث ان طلب الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ٢٨ ك ١ سنة ١٥٨٢ فكان احد رفقاء القديس لويس غنزاغا في درس اللاهوت. وبعد كهنوته أُرسل الى الهند لمعرفته اللغة السريانيَّة فبشَّر هناك في الملبار نصارى السريان المعروفين بنصارى مار توما. ثمَّ وافى الرؤساء ما صارت اليهِ رسالة اليسوعيين في الحبشة من الضيق باستشهاد بعض ابنائها فأوعزوا الى الاب ابرهيم بان يذهب لمساعدة المرسلين هناك. الَّا انَّ حاكم مصوَّع المسلم اوقفهُ عند نزولهِ من السفينة الى البرّ وعرف انهُ من المرسلين الكاثوليك فعرض عليهِ الاسلام فأبى متكرّمًا فأمر بسجنهِ وتعذيبه ثمَّ بقطع رأسهِ فمات شهيد ايمانهِ والامل معقود بتثبيتهِ طوبويًّا عمَّا قريب (اطلب تفاصيل استشهادهِ في كتاب المرحوم الاب وبّاط (RABBATH, Documents I, 315-320) وفي تاريخ الحبشة لعمّانويل أَلميدا (Hist. d'Ethiopie par le P. Em. ALMEIDA, p. 174-179)

وقد مرَّ لنا ذكر نيقولا جرجي ويوسف جرجي ورجّحنا كونهما اخوين للاب ابرهيم الشهيد وذكرنا دخولهما في الرهبانيَّة اليسوعيَّة. وفي عهدهما كان مارونيَّان اصلهما من قبرس يُدعى الواحد لويس مبارك (Luigi Benedetto di Nicosia in Cypro) والاخر كورنيليوس (Cornelio Sozomeno) اسمهما مدوَّن بين المبتدئين في الرهبنة اليسوعيَّة في ٢٦ ك ١ وفي ٤ تشرين الاوَّل من السنة سنة ١٥٧٩ في رومية ولم نعرف من امرهما شيئًا

وقد انضمَّ الى الرهبنة ذاتها تلميذان آخران من اوَّل تلامذة الموارنة في مدرسة طائفتهما وكلاهما من قبرس وهما المطوشيَّان مرقس بن اسطفان وبطرس بن جبرئيل. فمرقس بن اسطفان المطوشي مات شابًّا بعد ان ابرز نذورهُ الرهبانيَّة (١. أمَّا بطرس فانَّهُ كان ولد سنة ١٥٦٩ ودخل المدرسة المارونيَّة سنة ١٥٨٢ ثمَّ طلب بعد دروسهِ الانضواء الى ابناء القديس اغناطيوس فاجاب الرؤساء الى طلبهِ في ١٧ ك ٢ سنة ١٥٩٧ وبعد كهنوتهِ انكبَّ على التأليف والتعليم وخدمة الكرسيّ الرسولي وكانت وفاتهُ سنة ١٦٢٥. وفيها دخل الرهبانيَّة في رومية في ١٨ آب ١٦٢٥ شابّ آخر ماروني من تلامذة المدرسة المارونيَّة يُدعى يعقوب جبران اللبناني . . .

١) اطلب تاريخ الاب سكّيني Szcchini Hist. Soc. Jesu I, v, 34

ومن تلامذة المدرسة المارونيّة الاوّلين الذي عُرفوا بهمّتهم يوسف اليا الحلبي وهو الذي اشتهر بعد ذلك باسم يوسف إليان او إلياني وقد دُعي ايضاً باسم يوسف كاتبي انهى دروسهُ سنة ١٥٩٥ فعاد الى وطنهِ مع موسى الحلبي وقد سلّمهما الحبر الاعظم اقليمس الثامن درع الرياسة للبطريرك سركيس الرزّي . وفي براءتهِ المؤذنة بذلك يثني قداستهُ عليهما . ثمّ عاد يوسف اليان الى رومية بايماز البطريرك يوسف الرزّي لتقدمة الطاعة باسمهِ والتماس درع الرئاسة سنة ١٥٩٩ . وكان الاب دندیني في رحلتهِ الى لبنان اتّخذ يوسف اليان كترجمانهِ . ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومِمّن اشتهروا بين تلامذة رومية الاوّلين سركيس الرزّي ابن موسى الرزي اخي البطريرك سركيس فالبطريرك سركيس عمّهُ والبطريرك يوسف الرزي شقيقهُ . بعد دروسهِ في رومية عاد الى لبنان وترهّب في محبسة قزحيا ثمّ سفّفهُ اخوهُ على دمشق وجعلهُ نائبهُ . فلمّا جاء الاب دندیني الى لبنان سنة ١٥٩٦ وجدهُ اسقفاً في قزحيا وفي السنة ١٦٠٧ اوفدهُ اخوهُ البطريرك مع القسّ الياس ابن الحاج يوحنّا والقسّ يوحنّا ابن مارون من اهدن الى بولس الخامس لتهنئتهِ بارتقائهِ الى رئاسة الكنيسة . وفي تلك الاثناء توفي البطريرك يوسف واقيم لهُ خلفاً البطريرك يوحنا بن مخلوف . فلمّا عاد الوفد الماروني الى لبنان بقي المطران سركيس في رومية لمراقبة المطبوعات الشرقيّة فيها وبقي في رومية الى سنة ١٦٢٢ فرجع الى وطنهِ لزمن قصير ثم عاد الى رومية وفيها توفي سنة ١٦٣٨

وقد اشتهر ايضاً بين تلامذة المدرسة المارونيّة الاوّلين الصهيونيّان انطونيوس وجبرائيل فانطونيوس هو ابن اوفيسياني الصهيوني تلقّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية ثمّ سلك على الطريقة الرهبانيّة في اهدن ورُقّي الى درجة الكهنوت وصار بزديوطاً . واشتهر منهُ جبرائيل الصهيوني الاهدني من عائلة كرم التي ولد في لبنان سنة ١٥٧٧ ثمّ أرسل الى رومية وعمرهُ سبع سنوات فقط ويقي هناك لدراسة تاز بشهادة اللفنة وكهن سنة ١٦٢٠ وقد اشتهر بالتعليم والتأليف في البشدقية وباريس وكترجمان للامراء الى سنة وفاتهِ ١٦٤٥

ومثلهُ شهرة ابرهيم الحاقلاني كان ايضاً من تلامذة المدرسة المارونية الاولين ثم نال له اسماً طيباً بآثارهِ المتعددة كعلم وحراقب المطبوعات وكترجمان وكوكيل وعامل

كتب عديدة الى اللغات الاوربيَّة . كانت وفاتهُ سنة ١٦٦٤ وهو طاعن بالسنّ

ولا يسعنا ان نضرب الصفح عن تلميذ اخر لمدرسة الموارنة في رومية من اقدمهم وهو كبير الغريب القبرسي فهذا بعد دروسهِ عاد الى وطنهِ واشتهر في قبرس بعلمهِ وقداستهِ وغيرتهِ على الدين بين جميع طوائف الجزيرة . ولمَّا جلس يوحنَّا مخلوف على السدَّة البطريركيَّة سنة ١٦٠٨ بعد يوسف الرزّي اختارهُ ليذهب الى رومية ويطلب لهُ التثبيت من بولس الخامس فسلَّمهُ البابا درع الرئاسة وفوَّض اليهِ ان يوشح بهِ السيد البطريرك ويتلقَّى منهُ اليمين . ولم نعلم في اي سنة توفي

ومن هؤلاء يواكيم المدرسة المارونيَّة في رومية ميخائيل عبيد الاهدني ابن اخت المطران يوحنَّا لمَّا عاد الى الشرق سكن في دير مُرت مورا سنة ١٦٠٠ ثمَّ أقيم مطراناً سنة ١٦٠٢ واراد ان يمكث في دير مار سركيس عند خالهِ فلم ترضَ بذلك العائلة الدويهيَّة . قال المطران شبلي في ترجمة الدويهي (ص٨) : « فحرَّق صكَّ الدير الذي كان عند خالهِ فنزلوا الى طرابلس الى المفتي ابن جاموس وكتبوا صكًّا آخر عن رزنامة المدينة »

وكانت المدرسة المارونيَّة في رومية قد قلَّ عدد تلامذتها في اوائل القرن السابع عشر فكتب الرؤساء الى البطريرك يوسف الرزّي في ذلك فلمَّا كانت السنة ١٦٠٣ ذهب المطران يوحنَّا الحرشي الى رومية واخذ معهُ اربعة شبَّان . ولنا بعض التفاصيل عن رحلتهم في مقدمة الكتاب الكرشوني الذي وضعهُ ميخائيل الحصروني في الحساب الغريغوري سنة ١٦٣٧ قال ما نصُّهُ :

« لمَّا كانت سنة ١٦٠٣ مسيحيَّة التي تقابل السنة ١٠١٢ هجريَّة بعث البطريرك يوسف من بيت الرزّ من جبل لبنان المطران يوحنَّا الراهب الدوميكاني الملقَّب الموشي ابن شدياق حنَّا ابن الشدياق شمعون من قرية حصرون الى عند ابي الآباء ورئيس الرؤساء بابا رومية المتكنّى اقليموس الثامن لاجل مصالح طائفتنا . فاخذ معهُ اربعة شمامسة ليتعلَّموا في مدرستنا اثنين من شدرا واسمهما الشماس اسحاق واخوهُ سركيس واثنين من قرية حصرون الشماس يوحنَّا ابن الشدياق قرياقوس وانا لله عبد الشمَّاس مخائيل بن سعاده بن انطونيوس ابن الشدياق شمعون ابن الشيخ فريد ابن عمّ المطران المذكور الذي اجتهد وتعب في الوعظ وتعليم الكهنة وللطائفة عشرين سنة واتيح في رومية في جبل كنيسة صلبوت ماري بطرس كما وصَّى وشاء . ولمَّا وصلنا جميعنا بالسلامة الى مدينة المدائن رومية كلّ واحد منَّا تعلَّم على ما سهَّل لهُ الله تعالى . . . »

وفي السنة ١٦٠٨ لمّا ارسل البطريرك يوحنّا مخلوف القس كبر ليطلب له التثبيت ارسل معهُ الى رومية القسّ جرجس بن مارون وبصحبتهِ ١٣ شابًا فاكرم البابا مثواهم واظهر لهم كلّ تحفُّف. ذكر الدويهي ذلك في تاريخهِ (ص ٤٥٣)

ثمّ عاد البطريرك يوحنّا سنة ١٦٢٤ وارسل الى رومية اثني عشر ولدًا ليتلقوا فيها الدروس وكان يرافقهم الخوري يوحنّا بن قرياقوس الحصروني الموفد من السيّد البطريرك ليهنئ البابا اوربانوس الثامن المقام حديثاً حبرًا اعظم وبعثتهِ الاب عبدالاحد مغري (Dominique. Magri) اليسوعي

خدم تلامذة رومية الاوّلين لطائفتهم وللكرسي الرسولي وللعلم

انّ تلامذة رومية اصبحوا بعد نهاية دروسهم سندًا يُعتمد اليهِ في تهذيب ابناء ملّتهم وقد رأيتُ انّ عددًا منهم ترقّوا الى الرتبة الاسقفيّة فكانوا رعاةً صالحين يتولّون سياسة رعاياهم الروحيّة بالوعظ وتوزيع الاسرار واصلاح ما يرونهُ من الخلل في الطقوس والعادات

ولأنّ المدارس كانت وقتئذٍ قليلة جدًا سعى بعضهم بتعليم الاحداث. ولمّا علم البابا اوربانوس الثامن حاجة لبنان الى مدارس لتهذيب الشبيبة اراد ان تُفتتح لهم مدرسة في الجبل اخذ على الكرسيّ الرسوليّ تجهيزها وكلفة نفقاتها وانتدب تلامذة رومية للتعليم فيها عند رجوعهم الى لبنان سنتين او ثلاث سنين. وهذه هي مدرسة دير سيّدة حوقا التي انشأها الحبر الاعظم بقوّة براءة حرّرها في ٢٤ تموز سنة ١٦٢٥ تجدها بنصّها الشائق في مجموع البولّات المارونيّة الذي نشرهُ طوبيا العنيسي (Bullarium Maronitarum, p. 132-134) وشفعها قداستهُ بعد اسبوع فقط بقانون مفصّل ذي ٢٢ بندًا لترتيب تلك المدرسة وحسن نظامها وهذا الفصل الجليل قد نُشر في ذيل الطبعة الجديدة من المجمع اللبناني ويفتتحها إمام الاحبار بقولهِ «لمّا كنّا من امدٍ قريب قد انشأنا وأسّسنا مدرسةً في جبل لبنان بسلطاننا الرسولي...» ومن قولهِ هذا يلوح انّ الفضل الاعظم في انشاء تلك المدرسة انّما كان لرئيس الكنيسة على خلاف ما ورد في التواريخ الشائعة التي تنسبها خصوصاً الى البطريرك يوحنّا مخلوف

على أنّنا لا نعلم شيئاً من اخبار المدرسة المذكورة ونجاحها ولا عن بقيّة المدارس

التي عُني بتدبيرها تلامذة رومية في لبنان ولعلّ احوال الجيل في القرن السابع عشر وما حدث فيه من الاضطرابات وجور الحكّام لم تسمح باتقانها واجتناء اثارها الى ان احتلّ بعد مدّة المرسلون في لبنان فصرفوا المجهود في تثقيف الشبيبة . وكان البطريرك جرجس عميرة في ايّام اسقفيّته على اهدن كتب الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يطلب اليه بان يسعى في فتح رسالة لرهبانه في لبنان لحاجة البلاد اليهم . ومكتوبهُ هذا في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة في رومية تاريخهُ ٢٥ كانون الاوّل سنة ١٥٩٦ يفتتحهُ بالثناء على زوّار الكرسيّ الرسولي الابوين يوحنا باطشتا اليانو ودنديني لما خلّفا من آثار الحكمة والبنيان الصالح في سفارتهما . ثمّ يفيض الكلام في فقر ابرشيّته وكنائسها ويلتمس من الرئيس العام المساعدات ليُحسن القيام بواجبات اسقفيّته وخلاص الانفس ويختم رسالتهُ بقوله : « اني استمدُّ من ابوّيتكم نعمةً أُخرى كنت ذكرتها سابقاً لحضرتكم وهي أن ترسلوا اربعةً او خمسة من آباء رهبانيّتكم فيسكنوا عندنا حيثما شاؤوا في لبنان . ولا شكّ انهم سيعملون هنا خيراً عظيماً بعد ما رأينا اعمالهم في الزمن القليل الذي صرفوهُ بيننا » .

وقد ادّى تلامذة رومية الاوّلون خدماً اخرى لوطنهم ولارباب العلم بما سعوا في نشره من التآليف الدينيّة والعلميّة . وكان اوّل ما ابرزوا من ذلك كتب طائفتهم الطقسيّة وقد مرَّ لنا ذكر النوافير التي طبعوها في المطبعة المديشيّة سنة ١٥٩١ . وفي آخرها اسماء بعض تلامذة رومية الذين عُنوا بنشرها وهم جرجس الكرمي (Carmeniensis) وميخائيل الادنيني وجبرائيل الصهيوني . ولعلّ جرجس الكرمي هو جرجس الكزمندائي او هو جرجس عميرة الذي تولّى مدّةً في رومية نظارة مطبوعات ملّته الطقسيّة قبل رجوعه الى وطنه . وفي السنة ١٥٩٦ طبعوا هناك خدمة القدّاس بالسرياني والكرشوني وكتاب الشحيم اي الفرض الماروني . ومن مطبوعات تلامذة رومية الدينيّة المزامير بالسرياني والكرشوني الذي طُبع في قزحيا سنة ١٦١٠ وقد وصفناهُ في المشرق (١٩٠٣) : ٥٥١ — ٥٥٦ . والظاهر ان الذي تولّى الطبعة هو جرجس الماروني مطران دمشق الذي رُسم على صفحته الاولى شعاره ممسكاً السيف . وقد اطّلع على نسخة الكتاب جرجس عميرة اذ كان مطراناً على اهدن

والمطران سركيس المذكور دُعي بعد ذلك الى رومية ليتمّ بالمطبوعات الشرقيّة والبه عهد سنة ١٦٢٥ البابا اوربانوس الثامن إعداد ترجمة منقّحة للاسفار المقدّسة ففعل وانما تأخر طبعها في ثلثة اجزاء بالعربيّة واللاتينيّة الى السنة ١٦٧١

- ومن مطبوعاتهم الدينيّة كتاب التعليم المسيحي للكردينال بلرمين اليسوعيّ عرّبهُ يوحنّا الحصروني وطبعهُ سنة ١٦١٣ في رومية في مطبعة ساڤاري دي براف (Savary de Brèves) ثمّ جدّد طبعهُ في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٢٧ . وفي السنة ١٦١٤ طُبعت هناك المزامير بالعربيّة واللاتينيّة بعناية تلميذي مدرسة الموارنة جبرائيل الصهيوني ومنصور شلق الحاقوري

أمّا الكتب العلميّة التي يعود الفضل بتأليفها ونشرها الى تلامذة رومية فهي اوّلًا الغرماطيق السرياني اللاتينيّ الذي ألّفهُ جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ بعد نهاية دروسهِ وهو في سبعة اجزاء صفحاتهُ ٤٨٠

وفي السنة ١٦١١ نشر في باريس ٥ القس جبرائيل الصهيوني الهدناني والشمّاس يوحنّا الحصروني الماروناني كتاب صناعة النحويّة (كذا) يشتمل على خمسة اجزاء ٥٠ وفي السنة ١٦١٩ نقلا الى اللاتينيّة كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق للشريف الادريسي ونشراهُ في باريس تحت اسم الجغرافيّة النوبيّة وهذا الكتاب كان طُبع سابقاً باختصار في رومية بالعربيّة سنة ١٥٩٢

وفي السنة ١٦٢٢ طبع منصور شلق في رومية مبادئ اللغة العربيّة . ثم طبع الاب بطرس المطوشي اليسوعيّ الماروني نحو اللغة العربيّة سنة ١٦٢٤ . وفي السنة ١٦٢٧ عاد منصور شلق فطبع مدخلًا للغة العربيّة . وفي السنة ١٦٢٨ نشر ابرهيم الحاقلاني خلاصة اللغة العربيّة وغراماطيق اللغة السريانيّة باللاتينيّة وعارضهُ الشدراوي سنة ١٦٣٥ فطبع غراماطيقاً آخر للغة السريانيّة . وكلّهم من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية . وكان العلماء يُقبلون على مطالعة تآليفهم بكل شوق

ومن الخدم التي استحقّ عليها تلامذة رومية الاوّلون شكر الكرسيّ الرسولي سعيهم في ادخال الحساب الغريغوري المعروف بالعربي في طائفتهم والدفاع عنهُ . وقد تمّ ذلك سنة ١٦٠٦ في عيد القديسين بطرس وبولس الذي احتفل بهِ الموارنة عشرة ايّام قبل بقيّة الطوائف الشرقيّة في سواحل الشام ولبنان . ثمّ جرت عليهِ الطائفة في

مدن الداخليّة كالشام وحلب الّا جزيرة قبرس التي تأخرت عن ذلك بضع سنوات . وكان بين الذين اشتهروا في المناداة بهذا الحساب المطران يوحنّا الحوشي الدومنيكاني وكاد يذهب ضحيّة غيرته في هذا الجهاد اذ كان في حلب . فرفع المنفصلون عن الكنيسة امرهُ الى واليها طالبين منهُ ان يحكم عليهِ بالاعدام لتقرُّبهِ من الفرنج . فلمّا دُعي الى المحكمة اثبت امام الحاكم صحّة هذا الحساب وغلط الحساب الشرقي فافحم خصومهُ وخرج من المحكمة ظافرًا

ولمّا كانت السنة ١٦٣٥ أقيم البطريرك جرجس عميرة بطريركاً على الطائفة خلفاً ليوحنّا مخلوف فارسل الخوري ميخائيل سعادة الحصروني الى رومية لتأدية فروض الطاعة والتماس درع الرئاسة . واذ طالت الامور هناك رأى الخوري ميخائيل فرصة مناسبة لتهذيب كتابٍ اوعز اليهِ مجمع الكرادلة بتأليفهِ في قاعدة الحساب الغربيّ الجديد واختلافها عن الحساب القديم وبيان صحّة تلك وغلط هذه . فقام بهذا العمل وشرح اصولهُ وفصولهُ ولمّا انجزهُ امر المجمع المقدّس بطبعهِ فطُبع بالحرف الكرشوني سنة ١٦٣٧ على نفقة المجمع المذكور وقد الحقهُ بجدول للاعياد المتنقلة من السنة ١٦٣٧ الى السنة ١٨٥٦ في ٦٨ صفحة فكان لتأليفهِ هذا فائدة عظيمة سهّلت ادخال هذا الحساب بعد مدّة في طوائف اخرى

وقد أدّى تلامذة رومية الاوّلون خدمةً غيرها للكرسي الرسوليّ فانهُ انتدب افرادًا منهم لقضاء بعض حاجات الكنيسة فنهم الاب بطرس المطوشي القبرسي اليسوعي المار ذكرهُ فانَّ البابا بولس الخامس وكّلَ اليهِ والى الاب حنا انطون ماريتّي (G. A. Marietti) اليسوعيّ بان يرافقا الانبا آدم سفير بطريرك الكلدان ليليًا السادس الى آمد ويوثّقا هناك العلائق بين الكلدان والكرسيّ الرسوليّ . وفي مجموع البولّات المارونيّة (ص ١٢٦—١٢٧) رسالةٌ للحبر الاعظم في تاريخ ٨ نيسان ١٦١٤ وجّهها الى بطريرك الموارنة يوحنا مخلوف يوصيهِ فيها بالاثنين ليسهّل لهما على قدر طاقتهِ سفارتهما . على انَّ هذه السفارة لم تأتِ بفائدة لسبب تقلّب بطريرك الكلدان ليليا بين النسطوريّة والكثلكة فطلب ان يُنهد حضور مجمع ملتهِ الى الآباء الفرنسيسيين بدلًا من الآباء اليسوعيين فحضرهُ في آمد الاب توما دي توثارد اوبيشيني فخدع بزراءة الناطرة . ومنهُ ترى أن لا سند الى ما رواهُ السيّد مطران يوسف السدبس في تاريخ

سوريَّة (٧: ٣٢٧) حيث يقول انَّ الابوين اليسوعيين « ذهبا الى آمد وجمع البطريرك اساقفتهُ بحضرتهما وجعدوا ضلال نسطور » وقد ترك لنا الاب ماريتي (لا ماريتوس كما ورد في تواريخ الموارنة) رسالةً موسَّعة في هذه السفارة نشرَها فقيد الآداب الشرقيَّة الاب انطون رباط (Rabbath: *Documents* II, 421-422)

وكان تلاميذ رومية غير الاب بطرس المطوشي استحقوا شكر قداسة البابا بولس الخامس بما نقلوهُ من اللاتينيَّة الى الكلدانيَّة ومن الكلدانيَّة الى اللاتينيَّة بخصوص هذه السفارة وقد خصَّ منهم بالذكر في رسالة وجَّهها الى بطريرك الكلدان « اسحاقَ الشدراوي العالم باللاهوت المقدَّس ويوحنَّا الحصروني »

ونضيف الى هذه الخدم المشكورة التي ادَّاها تلامذة الموارنة للكنيسة ترشيحهم لتعليم اللغات الشرقيَّة اي العربيَّة والسريانيَّة في رومية اوَّلا ثمَّ في بعض حواضر البلاد الاوربيَّة. وقد امتاز في ذلك بين التلامذة الاوَّلين بطرس مطوشي الذي علَّم في المدرسة الرومانيَّة وجبرائيل الصهيوني الذي علَّم مدَّةً العربيَّة والسريانيَّة في مدرسة الحكمة في رومية ثم دُعي الى باريس فعلَّم في كليَّتها وشرَّفهُ الملك لويس الثالث عشر بلقب ترجمان ملكي. واشتهر ايضاً في تلك الحقبة بالتعليم في رومية ابرهيم الحاقلاني قبل ان ينقطع الى التأليف في باريس مع الصهيوني

فكل هذه المآثر لتلامذة مدرسة الموارنة الاولين في رومية ألفتت اليهم الانظار ومذ ذاك الحين شاع في اوربَّة اسم الموارنة

وكان الآباء اليسوعيُّون معلموهم لا يألون جهدهم في تدبير المدرسة وإرشاد الذين انهوا دروسهم ليحسنوا المتاجرة بوزناتهم . وفي سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة رسائل كتبها بعضهم الى معلميهم ينوِّهون فيها بفضلهم ويشكرون جميلهم لاسيَّما رؤساء المدرسة الذين تولَّوا ادارتها وهذه اسماؤهم : خلَفَ الابَ يوحنَّا بروتو في رئاسة مدرسة الموارنة الابُ ايرونيموس فوروفانتوس الروماني (١٥٩٠—١٦٠٦) ثمَّ الاب انطون لونغوس النيرنسي (١٦٠٦ — ١٦١٠) ثم الاب يعقوب كيبوناس (١٦١٠— ١٦٢٢) ثمَّ الاب انيبال كاتاليوس (١٦٢٢—١٦٢٥) ثمَّ الاب فابيوس بروتو (١٦٢٥—١٦٣٢) وهو الذي باغرائهِ ألَّف الحاقلاني غراماطيقتهُ السريانيَّة كما يصرِّح بذلك في مقدِّمتهِ اللاتينيَّة

وكان رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يرمي تلك المدرسة بعين ساهرة ويكاتب الذين عادوا الى وطنهم . وفي تاريخ الموارنة للدويهي (ص٤٥٣) « انّ البابا پولس الخامس امر سنة ١٦١٢ الاب كلوديوس اكواريوا رئيس شركة اليسوعيّة ان يُخرج جسد القديس اميريطن (كذا) من بيت الشهداء ويرسلهُ مع قوم امناء الى البطريرك يوحنّا (مخلوف) على موجب طلبه . ورأس هذا القديس هو الى هذا اليوم مصون بكل كرامة داخل بيت مذبح كنيسة الكرسي » (لهُ بقيّة)

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

يقول احد الامثال السائرة على السنة الفرنسويين : «يتشكّى كثيرون من ضعف ذاكرتهم بيد ان كلّ امرئ راضٍ عن مقدرته العقليّة » . ولا مراء انّ من عرف نفسه واختبر الناس لا يتمالك ان يعترف بان المثل المذكور صائب كل الاصابة وان انطوى على انتقاد لاذع . على كل حال لا سبيل لانكار خطورة شأن الذاكرة في حياتنا العقليّة سواء اعتبرناها من الوجهة الافراديّة ام من الاجتماعيّة . أجل ان حواسنا كالبصر والسمع واللمس تُحسّ بالكثير من محتويات هذا العالم الهيولي . ومن جهة اخرى عقلنا يستخرج بقوته الغريبة من مخزونات الحواسّ افكارهُ المجرّدة عن الهيولي الشاهدة على كونه جوهرًا روحيًا يصوغ منها ما يسميه المنطقيون قضايا ايجابية او سلبية . وما الكلام بل العلوم كلها — ودي حلى العقل التي تُزري بالجمان — اذا سبرتَ غورها سوى تناسُق مئات بل آلاف من القضايا المبنيّة على مجرّد التعقّل او عليهِ وعلى الاختبار . ولكن انّى للعقل وان كان احدّ من السنان ان يكتنز كنوز الافكار والقضايا المتفرقة او المتناسقة اذا ضاقت خزانة ذاكرته عن استيعاب كل تلك الجواهر الثمينة ؟ فانّ عاشق العلوم وان ذلّل كل صعب في تحصيلها لا يلبث ان

وكان رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يرمي تلك المدرسة بعين ساهرة ويكاتب الذين عادوا الى وطنهم . وفي تاريخ الموارنة للدويهي (ص٤٥٣) « انّ البابا پولس الخامس امر سنة ١٦١٢ الاب كلوديوس اكواريوا رئيس شركة اليسوعيّة ان يُخرج جسد القديس اميريطن (كذا) من بيت الشهداء ويرسلهُ مع قوم امناء الى البطريرك يوحنّا (مخلوف) على موجب طلبه . ورأس هذا القديس هو الى هذا اليوم مصون بكل كرامة داخل بيت مذبح كنيسة الكرسي » (لهُ بقيّة)

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

يقول احد الامثال السائرة على السنة الفرنسويين : «يتشكّى كثيرون من ضعف ذاكرتهم بيد ان كلّ امرئ راضٍ عن مقدرته العقليّة » . ولا مراء انّ من عرف نفسه واختبر الناس لا يتمالك ان يعترف بان المثل المذكور صائب كل الاصابة وان انطوى على انتقاد لاذع . على كل حال لا سبيل لانكار خطورة شأن الذاكرة في حياتنا العقليّة سواء اعتبرناها من الوجهة الافراديّة ام من الاجتماعيّة . أجل ان حواسنا كالبصر والسمع واللمس تُحسّ بالكثير من محتويات هذا العالم الهيولي . ومن جهة اخرى عقلنا يستخرج بقوته الغريبة من مخزونات الحواسّ افكارهُ المجرّدة عن الهيولي الشاهدة على كونه جوهرًا روحيًا يصوغ منها ما يسميه المنطقيون قضايا ايجابية او سلبية . وما الكلام بل العلوم كلها — ودي حلى العقل التي تُزري بالجمان — اذا سبرتَ غورها سوى تناسُق مئات بل آلاف من القضايا المبنيّة على مجرّد التعقّل او عليهِ وعلى الاختبار . ولكن انّى للعقل وان كان احدّ من السنان ان يكتنز كنوز الافكار والقضايا المتفرقة او المتناسقة اذا ضاقت خزانة ذاكرته عن استيعاب كل تلك الجواهر الثمينة ؟ فانّ عاشق العلوم وان ذلّل كل صعب في تحصيلها لا يلبث ان

يضيع في برهة يسيرة الحصّة الكبرى من معارفه المُقتناة بشقّ النفس ان لم يستطع ادّخارها في ذاكرته . فكثرة وقوع هذا المحذور الوخيم هي التي حدتْ من قديم العصور طائفةً من المفكرين والبحّاثين الى ايجاد العلاج الشافي لداء ضعف الذاكرة . والحق يقال ان ابحاثهم وتجاربهم المتعددة ، ولاسيما في الجيل الاخير ، قد فازت بالضالّة المنشودة فادّت للمجتمع البشري خدمةً تذكر فتشكر

هذا ولمّا كان جلّ مبتغانا خدمة ابناء الشرق الكرام باطّلاعهم على خير ما تصل اليهِ يدنا من المعلومات المفيدة رأينا اليوم ان نطرق موضوع فنّ ترويض الذاكرة وفقاً لاحدث الطرق العصرية . ولا مراء في كون مطالعي المشرق يرتاحون كل الارتياح الى خوضنا في هذا المبحث الجليل الفوائد رغماً من وعورة مسلكه . ولم نجترئ في تحبير هذه المقالة بتدوين معلوماتنا وتجاربنا الشخصيّة بل وسّعنا دائرتها بمطالعة مقالات ومؤلّفات ضافية الذيول فتزفّ الآن الى بني الشرق خلاصة ما استخرجناهُ من كل هذه المصادر . واهمُّها في نظرنا — ولا محيص عن التنويه به — طريقة مؤسّسة بِلْمن (١) (The Pelman Institute) التي مركزها في لندن ولها عدّة فروع في اشهر مدن العالم ولاسيما في البلاد الانكليزية . غايتها تثقيف وترويض القوى العقليّة من عقل وارادة ومخيّلة وذاكرة وفقاً للمبادئ الفسيولوجيّة وخصوصاً مبادئ علم النفس . قد انشأها منذ نحو ٢٦ سنة المستر إنّفر (Ennever) وهي تلقي الدروس على طريق المراسلة كما جرت العادة في كثير من مدارس جيلنا الحاضر . وقد حازت شُهرةً عجيبة في كل اصقاع العالم الانكليزيّ اللسان بل جاوزت حدوده المترامية الاطراف منتشرةً في فرنسة واسوج وغيرهما . ومن ثمّ لم نرَ بُدًّا من مخابرتها بل طلبنا منها إطلاعنا على تفاصيل ذلك الفن الذي نالت فيه قصب السبق ففعلت بطيبة خاطر . فياوح اذاً لكل ذي عينين اننا لم ندّخر وسعاً في افراغ مقالتنا هذه بأكمل القوالب رغماً من ضرورة الايجاز فمادّتنا اوسع من ان نستطيع حصرها في صحائف قليلة

امّا سياق مقالتنا فبسيط للغاية حيث اننا سنورد اوّلاً على جناح السرعة النواميس الجوهرية للذاكرة ثم نستند اليها للتوسع في فن ترويض هذه القوّة الثمينة

---

(١) هذا عنوانها لمن يريد مخابرتها : 4, Bloomsbury Street, London, W. C. 1

١ نواميس الذاكرة

ان للذاكرة كما لسائر قوى النفس نواميس معلومة ارشدتنا اليها الملاحظة والاختبار وهي القواعد التي ينبغي مراعاتها لحفظ المعلومات ايةً كانت في ذاكرتنا

من البديهي ان قيام الذاكرة بوظيفتها يقتضي ثلاثة امور : الاول هو التأثير الفاعلي الوارد اليها عن طريق الحواس او العقل — الثاني هو تأثيرها الانفعالي اي انطباع التأثير الفاعلي فيها — والثالث هو استعادتها التأثير الانفعالي بعد فترة من الزمن وهو ذات فعل التذكر . ومن الجدير بالانتباه اليه ان ثاني هذه الامور اي التأثير الانفعالي غير خاضع لارادتنا خضوعاً مباشراً كما يتضح للمتروي . فلا نقدر على زيادته وتشديده الّا بمعالجة الامرين الآخرين نعني التأثير الفاعلي وفعل التذكر واليك بعض الايضاحات على كيفية هذا العلاج

﴿ ١ تشديد التأثير الفاعلي ﴾ ان ذات حدوث هذا التأثير يقتضي بعض الانتباه الى الشيء المراد تذكرهُ فبحجّة أَوْلى يُقتضى الانتباه لتشديد التأثير الفاعلي . معلومة لدى القاصي والداني سهَوات بعض كبار العلماء الغائصين في بحر تأملاتهم السامية الخارجين عن عالم الماديات المحسوسة . ولعمري ليس السهو سوى عدم ذكرى بعض الامور مع لزوم تلك الذكرى في ظروف معلومة . مَن لم يقرأ قصة ذلك العالمة الذي اراد ان يسلق بيضة فقبض عليها في راحته زاعماً انها ساعته وقد التى الساعة نفسها في الماء الغالي . واغرب من ذلك سهو احد امثاله الذي عاد الى داره فرأى على الباب رقعةً كان كتب هو ذاته عليها قبل انطلاقه « فلان متغيب » فتوهم انه لا يستطيع الدخول الى بيته وادار ظهرهُ راجعاً عوده على بدئه !

كلّ هذه النكات التي تضحك الثكلى شاهدة على ضرورة الانتباه الى الامور للتوصل الى ايداعها في خزينة الذاكرة . فكم وكم من الاشياء نشاهدها صباح مساء ومع ذلك لا نعرفها ولا نذكرها لمجرّد كوننا مررنا بها الف مرّة بدون الانتباه والالتفات اللازم اليها

وبعكس ذلك يرشدنا الاختبار اليومي الى ان قوّة الذاكرة وكثرة مخزوناتها تزيد بنسبة شدّة الانتباه الى الامور المقصود تذكرها . فمن الناس من اذا رأى شخصاً مرّة واحدة وزمناً يسيراً يعرفه في الحال اذا قابله بعد اعوام عديدة . فمن البديهي ان

اولئك الاشخاص ينظرون الى النـاس والاشياء نظرة الانتباه الشديـدة فكأنهم يطبعونها طبعاً مؤبّداً على صفحات صدورهم

مهما يكن نصيبنا الغريزي من ملكة الانتباه فبوسعنا اقتناؤها ولو يسيراً على طريق الممارسة المتواترة . من المعروف لدى الخاصة والعامة ان المشوذين ذوو انتباه شديد سريع كالبرق الخاطف وهو من اهمّ العوامل في الآيات التي يسحرون بها الالباب . بيد انهم لا يحصلون على هذه الملكة الّا بشقّ النفس والتمرّن المتواصل . روى المشوذ الفرنسي الشهير روبر هودان (Houdin) ما مؤداه : « كنتُ امرّ انا وابني مروراً سريعاً باحد الدكاكين الملقب «للاطفال» او دكان آخر كثير البضائع متنوّعها فنرشقه بنظرة الانتباه . وبعد بضع خطوات نسحب كلانا قلم الرصاص من جيبنا ونتسابق في وصف اكثر ما يمكن مما شاهدناه لدى مرورنا وكان عدد تلـك الاشياء يتراوح بين ثلاثين واربعين !»

في طريقة بلمن قـد أُحِلّ التمرّن على الانتباه المحـل اللائق به . ومن اظرف التمارين واقيدها الآتي : أُطلب من احد اقربائك او اصدقائك ان يجمع اثني عشر شيئاً مما يصغر حجمهُ كالدواة والمشط والقلم وما شاكلها ثم يخفيها تحت غطاء كثيف فيستدعيك ويرفع الغطاء طرفة عين ليس الّا . وعليك ان تصرّح بعد الانتباه السريع بكل ما رأيته . التجربة تدلّك على انك لا تستطيع الّا بعد طول الممارسة ذكر كل الاشياء المغطاة . ثم ان مقدرتك على مشاهـدة عدد منها يتزايد على توالي التمرّنات فتكون لك بمثابة مقياس لتقدّمك ومشجّع لثباتك

﴿ ٢ تكرير التأثير الفاعلي ﴾ الانتباه ضروري للتأثير على الـذاكرة الـ ... هذا التأثير يشبه في كثير من الاحوال اسطراً موسومة على رمل السواحل فاذا هبّت الريح غيّرت آثارها تماماً . فلا وسيلة لمعالجة ذلك الداء سوى تكرير التأثير بتكرار الانتباه الى الشيء المراد تذكّره . بناءً على ذلك ضرب الرومان المشهورون بحكمتهم المثل القائل : «المراجعة أمّ العلم» . اما نذكّر جميعنا اعوامنا المدرسيّة وما كنّا نقاسيه يومياً من العناء في اعادة اشعار المتنبي او ابي العتاهية عشر مرات على الاقل قبل طبعها على صفحات ذاكرتنا ؟ مثل ذلك العناء يجب ان يضارب اليـاس او اليـأس لاتقان ضرب قطعة موسيقية مطبوعة من ظهر القلب . فانه يلزمهُ التمرن عليها مراراً

عديدة قبل نيل بغيته . وما حنكة الطبيب في تشخيص الامراض ووصف العلاج الملائم لها ، او مهارة المحامي في الاحاطة باطراف قضية كثيرة الاشتباك وتطبيق الشرائع عليها ذوداً عن مصالح المحامَى عنه ، او حذاقة المهندس في رسم البنايات العظيمة الشاهقة ثم في تشييدها وفقاً لكل مقتضيات الفنون العصرية ، ما كل هذه الملكات المميزة لاهل الخبرة والمقدرة سوى ثمرة اعادة الاختبارات آلاف مرار بحيث يتدرّج الحديث المهد بهته تدرُّجاً بطيئاً يفضي به الى قوة الكمال في تلك المهنة . ولذلك قال المثل الجاري في مصر وسورية « اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم » . ومعناه واضح وهو ان تكرار التجارب يرسخ المعلومات في الذاكرة اكثر من تناول العلم في الكتب بمدارس الطب . على اننا لا ننكر ان ذلك المثل ينوه ايضاً بمزية الاختبار على العلم النظري ليس الّا

اجل ان التكرار او المراجعة شرط جوهري لتقوية الذاكرة وهو مع الانتباه بمثابة ركنين وطيدين يشاد عليهما صرح كل معلوماتنا الراسخة . غير انهما لا يكفيان لحفظ بعض الاشياء العسيرة او على الاقل لا يقدران على حفظها الّا بالجهد الجهيد والعناء الذي تحور دونه اكثر العزائم . وان شئت فدونك مثلَين من ذلك :

اولًا أودع في ذاكرتك اذا استطعت ولو بالتكرار الطويل الرقم الآتي :

٦١٦،٦٨٢،٢٣٢،٤١١،٦١٧،١٧٣

ثانياً احفظ عن ظهر القلب تواريخ جلوس كل اعضاء الاريكة المحمدية العلوية على العرش المصري وهي الآتية :

محمد علي باشا : ١٨٠٥ — عباس باشا الاول : ١٨٤٩
سعيد باشا : ١٨٥٤ — اسماعيل باشا : ١٨٦٣ — توفيق باشا : ١٨٧٩
عباس باشا الثاني : ١٨٩٢ — السلطان حسين : ١٩١٤ — الملك فؤاد الاول : ١٩١٧

وايم الحق لا اراني مغالياً لو قلتُ ان العمليّة الاولى تكاد تتعدّى قوى ذاكرتك ولاسيما لو طلبتُ منك حفظ العدد المذكور ليس ليوم او يومين بل لسنوات عديدة . اما العمليّة الثانية فانك لا تتقنها الّا بتمام جهدك وفي الارجح تنسى غداً او بعد اسبوع ما اجهدت الآن ذاكرتك لحفظه . فبهذين المثلين البسيطين تدرك تمام الادراك عجز

طريقتي الانتباه الشديد والتكرار الطويل عن تمكيننا من حفظ بعض المعلومات بنوع ثابت دائم . والحال ان فن تثقيف الذاكرة المعروف عند الفرنسيين وغيرهم من الامم الراقية باسم «mnémonique» او بما يضارعهُ هو الفنّ الجامع لكلّ وسائل تقوية الذاكرة لتستطيع الحفظ الطويل بل الدائم لكثير من المعلومات التي يهتاص حفظها . وقد آن الاوان لايقافك على بعض اسراره واهمّ تطبيقاته المفيدة

٢ فن تثقيف الذاكرة : مبدأه الاساسي

ان دعامة هذا الفن الغريب هو ناموس علم النفس المشهور في كل اللغات الراقية باسم ناموس ارتباط الافكار (Loi de l'association des idées) الذي يُعبّر عنهُ على الوجه الآتي : ان توافقَ او تلاحق مرارًا عديدة في حياتنا النفسيّة حالتان معلومتان نجمت عن ذلك التكرار ملكةٌ يؤدّي حدوث احداهما — سواء كان ارادياً او عرضيًا — الى ذكر الحالة الاخرى . اليك مثالًا يوضح لك صحة هذا الناموس . فلنفرض انك لتستظهرت هذه الابيات البديعة لاحمد بك شوقي في وصف الغزة الالهية :

انت أُنسٌ لنا اذا بَعُد الانسـ ـم وانت الحياة والإحياء
يتولى البعادَ بها ادلالُ منـ ـك في كل جانبٍ لألاء
واذا ما طَغَتْ فثمّ قيامٌ واذا ما رغت فثمّ دعاء
فاذا واعدتَ حلالك حرّمْـ ـتَ هيامٌ فيه وانباطُ ماء
والعريض الطويل منها كتاب لك فيه تجنّةٌ وثناء !

فاذا توقفت في آخر البيت الثاني وانت لا تذكر ما يليه أفلتَ تميد ذلك البيت آملًا انه يجرّ اللاحق وكثيرًا ما تكلّل حيلتك بالنجاح . فاذا فحصت عملتك الفيتَ انها تطبيقٌ لناموس الارتباط

وهاك تطبيقًا آخر هو من الغرابة بمكان . قيل عن مستر بكستون (Buckstone) الممثل الانكليزي انه اذا قصد تمثيل دورٍ مضت على حفظه اعوامٌ عديدة كان لا يستطيع في دوره وبلابسه المعتادة ان يميد من ظهر القلب ذلك الدور القديم . لكنه متى ظهر على المسرح بالملابس الجديدة وبين الممثلين زملائه كانت ذاكرته تنتعش فجأةً فتسرد كل اقوال دوره بدون ان تكسر واحدًا منها . فلمّ الآن تميد النظر

في العمليتين اللتين اقترحناهما على ذاكرتك آنفاً وهما حفظ عدد ذي ثمانية عشر رقماً وحفظ تواريخ جلوس امراء مصر على عرشهم . قل لي يا رعاك الله ما سرُّ صعوبة حفظ هذين الامرين ؟ اليس انه لا يوجد ادنى علاقة عقلية بين ارقام العدد الطويل و (بين) تواريخ الجلوس الثانية ؟

فأية وسيلة يعرضها علينا فنُّ تثقيف الذاكرة لازالة تلك الصعوبة ؟ وسيلة غاية في البساطة . ألا وهي عبارة عن إبدال كل رقم بلفظ مناسب وايجاد علاقة سهلة بين الارقام والالفاظ بحيث نستغني عن حفظ تلك بحفظ هذه ثم تنتقل فوراً من هذه الى تلك بواسطة ناموس الارتباط . وسيزول في الصحائف التالية ما في الشرح السابق من الغموض باذنه تعالى

٣ فنّ تثقيف الذاكرة : بعض اهمّ تطبيقاته

قبل الخوض في الطريقة المشار اليها آنفاً نعني ابدال الارقام بالالفاظ نرى عرض طريقة اسهل لحلّ مشكل اسهل ايضاً وهو حفظ لفظتين او اكثر لاعلاقة بينهما بتاتاً

﴿١ المشكل الاول : حفظ لفظتين او اكثر لا علاقة بينهما﴾ قد اشتهر ورواج حتى العصر الاخير حلّ الفيلسوف والشاعر اليوناني سيمونيدس (٥٥٨–٤٦٨ ق م) لهذا المشكل وقد كتلهُ الباحثون المتأخرون وطريقة الحل هي ان تودع في ذاكرتك بترتيب لا يطرأ عليه ادنى تغيير خمسين شيئاً موجوداً في غرفة معلومة او غيرها من الامكنة التي تُكثر التردُّد اليها . فلحفظ اللفظة الاولى تحاول ايجاد علاقة لفظية (١ او معنوية بينها والشيء الاول ، ثم تجعل علاقة مثلها بين اللفظة الثانية والشيء الثاني وهلم جرًّا . فيكون لكل لفظة تُريد حفظها علاقةٌ تربطها باحد الاشياء الخمسين . ومتى أردتَ تذكُّر كل الالفاظ اعدتَ في ذهنك جدول الخمسين شيئاً . فالشيء الاول يُذكرك اللفظة الاولى بواسطة العلاقة الواصلة بينهما ، والثاني يعيد ذكرى الثانية وهلم جرًّا . ويتضح لك من ذلك ان هنا تطبيقاً جديداً لناموس الارتباط الذي سميناه دعامة فنّ تثقيف الذاكرة . فلو افترضنا انّ الالفاظ المراد حفظها متتابعةً هي : كاتب – زنجي – ابيض – صديق – تعب الخ وقدّرنا كون الاشياء الخمسة الاولى

(١) هي عبارة عن تشابه كلمتين لفظاً وإن تباينتا معنًى . فتلك العلاقة موجودة مثلاً بين رأس ورأس

في جدول الخمسين هي : قلم — دواة — كتاب — صورة — سرير الخ يسهل ايجاد العلاقات المعنوية الآتية للربط بين كل لفظة من السطر الاول ومقابلها في السطر الثاني : القلم ضروري للكاتب — الدواة فيها حبر اسود كالزنجي — الكتاب ذو ورق ابيض — الصورة تمثل الصديق — السرير يريح من التعب الخ

تلك طريقة الفيلسوف سيمونيدس على شكلها الحديث المكمل بفضل الباحثين . فان ذلك اليوناني الشهير كان يجتزئ بمقارنة كل من الالفاظ المراد حفظها باحد اشياء الجدول وذلك بدون ايجاد علاقة لفظية او معنوية بينهما . ويلوح من اول وهلة بعد الامثلة الموردة سابقاً ان طريقة سيمونيدس كانت في مسيس الحاجة الى من يبلغها لاوج الكمال . ويُعترف بذلك الفضل الوسيم للدكتور پيك (Pick) وقد درّس طريقته في المانية السنة ١٨٥٣ ثم قدم الى باريس وعلّم مبتكراته بمدرسة المعلمين العليا واخيراً القى محاضرات للجمهور في لندره حيث نشر سنة ١٨٦١ مؤلفه الشهير المعنون هكذا « الذاكرة والطرق المعقولة لتكميلها » امّا اساس طريقته فهو ان لفظةً ما تجرّ اخرى متى وُجد بينهما علاقة لفظية او معنوية مباشرةً او غير مباشرة . فلفظة « قطار » تجرّ لفظة « سفر » مباشرةً . وكلمة « شمس » تجرّ كلمة « فنّ » بتوسط كلمة « تصوير شمسي » بينهما . وفي هذين المثالين علاقتان معنويتان . امّا « رأس » و « بأس » فبينهما علاقة لفظية تجعل الاول يجرّ الآخر جرًّا

وحيث أدرك النهامةُ الدكتور پيك عظيم شأن تلك العلاقات لحفظ عدة الفاظ لا علاقة بينها حسّن كثيراً طريقة سيمونيدس العتيقة ليس فقط بادخال مبدأ العلاقات فيها كما اسلفنا بل ايضاً بحذف جدول الاشياء الذي نحن في غنى عن حمله بفضل الارتباط المكين الذي توجده العلاقات المعنوية واللفظية بين كل كلمة يُراد حفظها والكلمة التالية

وربما أوقفنا القارئ هنا وقد فرغت مؤنةُ صبره فاعترض علينا قائلاً : فهمت كل ما تقوله . ولكن قل لي يا صاح ما الفائدة من حفظ جدول كلماته لا علاقة بينها ؟ أيليق نسبة مثل ذلك العمل الى رجل عاقل حريص على وقته وقواه العقلية ؟ نعم الاعتراض لهما القارئ اللبيب فانا كنا ننتظر منك ان تعفينا من جوابك وتقنع بعدم الجواب الثاني بالاسطر اللاحقة (للكلام صلة)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع حرف الباء)

١٢١ ﴿بـلو﴾ الاب يوحنا اليسوعيّ (P. J- B. Belot) المتوفى في ١٤ آب ١٩٠٤ اطلب ترجمتهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٤٤—١١٥١) . وقد سردنا هناك جدول مطبوعاته الدينيّة واللغويّة كالقلادة الدرّية ومروج الاخبار والفرائد الدرّية في اللغتين العربيّة والفرنسويّة والقاموس الفرنسوي العربي الكبير ثم المدرسيّ الصغير والفراماطيق الفرنسوي العربيّ وغير ذلك ممّا اكسبهُ شكر الادباء والدارسين . ولهُ من المخطوطات في مكتبتنا الشرقيّة تساعية للروح القدس استعدادًا لعيد العنصرة في ٥٠ صفحة

١٢٢ ﴿بلوكا﴾ هو الكردينال لودوفيكو بلّوكا (L. Bellugà) المتوفّى سنة ١٧٤٣ . ألّف كتاباً مفيداً للشرقيين عنوانهُ كتاب الارشاد لناشئ الملل والعباد عرّبهُ القس ثاوفيلوس فارس الحلبيّ الشويري عن اللغة الايطاليّة فطبعهُ في رومية سنة ١٧٤٠ طبعاً حسناً في قطع صغير صفحاتهُ ٣١٥

١٢٣ ﴿بليط﴾ الورتيبيت بولس الارمنيّ الحلبيّ المتوفى في ١٢ ت ٢ ١٩١٠ تجد ترجمتهُ في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٨١ ٨٠) انتظم منذ السنة ١٨٥٩ فنشر في مطبعة الموارنة في حلب تعريب رياضة شهر تشرين الثاني لاسماء الموتى الذي الّفهُ فرنسيس ڤيتالي ثمّ نشر نسخة سبعة افراح مريم العذراء . ثمّ نشر في بيروت كتاب الدعامة سنة ١٨٩٥ ضمّنهُ خمس محاورات في وجود الله وخلود النفس . وفي السنة ١٩٠٧ طبع الجزء الأوّل من التبراس المشتمل على محاورات دينيّة في الكنيسة والمطهر وانبثاق الروح القدس وسعادة القديسين . أمّا المخطوطات الباقية لهُ فهي ١ — ٢ الجزءان الثاني والثالث من التبراس . ٣ اسئلة واجوبة في مشاكل لاهوتيّة وكتابيّة وسواها تاريخ النسخة سنة ١٨٦٣ . ٤ لهُ مجموعة في اسرار الماسونيّة عرّبها عن تأليف لاحد المرتدّين منها . ٥ مجموعة في اسرار الكنيسة . ٦ خطبات في شرح وصايا الله والصلاة الربيّة وغيرها . ٧ مواعظ للشهر المريميّ . ٨ كتاب اليوميّة الروحيّة عرّبهُ

عن الايطاليَّة قبل كهنوتهِ . ٩ً مياومة تاريخيَّة كان يدوّن فيها اخبارهُ وحوادث وطنهِ حلب . ١٠ً كتاب رحلتهِ الى الاستانة والى رومية لحضور المجمع الفاتيكاني

١٢٤ ﴿بلين﴾ الاب جول اليسوعيّ المتوفى في القاهرة في ٨ حزيران ١٨٩١ . لهُ كتاب مبادئ اللغة العربيَّة في اللغة الفرنساويَّة على طريقة مستحدثة في جزئين طُبع مرارًا في بيروت ثمَّ في القاهرة . ولهُ كتاب في موسيقى الطائفة القبطيَّة حاضرًا ومتفرّقات خطّيَّة

١٢٥ ﴿بُنفون﴾ الاب امابل اليسوعيّ (P. Amable Bonnefonds) المتوفّى سنة ١٦٥٣ . طُبع لهُ في مطبعتنا سنة ١٨٧٦ و ١٨٨٥ معرَّباً تأمّلات سنويَّة في حياة السيد المسيح على عدد أيام السنة عرَّبهُ المرحوم جرجس زوين

١٢٦ ﴿بترارنست﴾ الراهب الدومنيكاني . لم نعلم من تاريخهِ شيئاً لهُ في مكتبة الشرفة كتاب في اخبار الاراطقة والارطقات عرَّبهُ المطران القبطي رافائيل طوخي في القرن الثامن عشر

١٢٧ ﴿بنيامين﴾ البطريرك القبطي الثامن والثلثون كان في القرن السابع للمسيح . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (Cod. 23) كتاب حلّ المشاكل الانجيليَّة

١٢٨ ﴿بنيين﴾ هو المطران جرجس الماروني والراهب اليسوعي المتوفّى سنة ١٧٧٥ (اطلب الجامع المفصَّل للمطران يوسف الدبس ص ٤٦٨ — ٤٦٩) لهُ من التآليف المخطوطة : ١ً كتاب ردّ على المراطقة منهُ نسخة في دير مار يوحنّا جوامش . ٢ً كتاب الصعوبات حلّ المشكلات . ٥ وفيهِ تفاسير مختصرة لبعض صعوبات في الانجيل المقدَّس وسائر الاسفار الالهيَّة من شرح الآباء القديسين والعلماء الماهرين قد استخرجهُ من اللاتينيَّة الى العربيَّة البادري بنيامين الايسوعي ٥ منهُ نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, n° 10 179) ثمَّ في مكتبة الكلدان في الموصل وفي مكتبة سيّدة الحلة وعند حضرة الخوري بطرس غالب في بيت شباب وصاحبهُ يدعى هناك ٥ معلم اسكول اولاد الموارنة في مدينة رومية الكبرى ويدعى الناسخ يواقيم الحاقلاني الراهب اللبناني سنة ١٧٣٤ . ويلي هذا الكتاب : ٣ً كتاب علم التيّ بالسؤال والجواب تاريخ نسخهِ سنة ١٧٣٥ . ٤ً ولهُ في السريانيَّة بالمكتبة الباريسيَّة (Cod. 182) كتاب في الادبيَّات لعلَّهُ الكتاب السابق ذكرهُ نقلهُ الى الكلدانيَّة

القس خدر بن هرمز الكلداني الموصلي

١٢٩ ﴿بوازو﴾ الاب يوسف اليسوعي (P. Jos. Boisot) مرسل في سوريّة توفي في ١٦ ك ٢ سنة ١٦٨٧ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة دير بزمّار للارمن تعريب سيرة القديس فرنسيس كسفاريوس للاب بوهور وذلك في تاريخ سنة ١٧٥٣ . وهو الكتاب الذي بعد تصحيحهِ وتكميلهِ للاب دي كوبيه سنة ١٨٨٥ وتنقيح عربيّتهِ للمعلم رشيد الشرتوني طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة تحت عنوان "نفح الرند في سيرة رسول اليابون والهند" . وقد روى لهُ الشفاليه درڤيو في مذكّراتهِ (Mémoires du Chevalier d'Arvieux) بعض الرسائل

١٣٠ ﴿بو اليف﴾ الاب مارين دي بواليف اليسوعي (Marin de Boylesve) المتوفّى في ٢٢ شباط ١٨٩٢ . عرّب المرحوم اسكندر زيادة سنة ١٨٧٣ كتاب الاب دي بواليف المعنون بالتذكرة الرفيعة في الديانة الفائقة الطبيعة فطبعهُ في المطبعة العمومية . وفي السنة ١٨٨٨ عرّب لهُ الخوري فيلبّوس ملّوك كتابهُ في الفلسفة في اربعة اقسام وطبعهُ تحت عنوان "كتاب ميزان الحق" في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٨ (ص ٣٦٦)

١٣١ ﴿بودران﴾ الاب برتلماوس اليسوعي (P. B. Baudrant) المتوفى سنة ١٧٨٧ . في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتابهِ المفيد الشاقب في الاربع العواقب عرّبهُ الخوري بولس سعاده وطبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٧٤

١٣٢ ﴿البودي﴾ القس توما رئيس الرهبان اللبناني توفّي في رومية في شباط سنة ١٧٦٨ . لهُ في مكتبنا الشرقيّة نسخة من السيرة التي وضعها لمؤسس الرهبانيّة اللبنانيّة الطيب الذكر عبدالله قراعلي مطران بيروت . وهذه السيرة قد نشرها المرحوم الاب انطون رباط في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٦٢٥ و٩٩٥ الخ) وذيّلها ببعض الملحوظات واضاف اليها (ص ٨٠٣) رسالة كتبها سنة ١٧٣٨ وارسلها الى الملك لويس الخامس عشر

١٣٣ ﴿بوردالو﴾ الاب اليسوعي الخطيب الفرنسوي الشهير (P. L. Bourdaloue) المتوفّى في باريس سنة ١٧٠٤ . عرّب الاب انطون كنيانر المرسل اليسوعي في سوريّة كتاب الاب بوردالو الذي عنوانهُ الرياضات الروحيّة . منهُ نسخة في دير

راهبات الزيارة في عينطورا

١٣٤ ﴿بورغاد﴾ الخوري الفرنساوي (Abbé Bourgade) . ألَّف في الجزائر كتابهُ المتون بمساعرة قرطجنَّة في الفرنسويَّة ونقلهُ الى العربيَّة (راجع كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٥٦٠

١٣٥ ﴿بورْكنو﴾ الاب اسكندر المرسل اليسوعي (P. Al. Bourque-noud) توفي في غزير في ٢٥ ت ١ سنة ١٨٦٨ . كان من الآثرين المعدودين لهُ عدَّة كتابات عن آثار لبنان وديانات الفينيقيين والكنعانيين نشرها في مجلَّة المباحث الافرنسيَّة ومجلَّات علميَّة اخرى ولهُ في مكتبتنا اوراق منثورة

١٣٦ ﴿بوزنباون﴾ الاب هرمان اليسوعي (P. H. Busenbaum) من كبار اللاهوتيين الادبيين توفي سنة ١٧٦٨ . لهُ ١ كتاب اللاهوت الادبيّ او علم الذمَّة عرَّبهُ الاب ميخائيل نو (P. Michel Nau) المرسل اليسوعيّ . منهُ نسخ متعدِّدة في مكتبة البروبغندا في رومية وفي حلب في مكتبة الموارنة وفي مكتبة دير طاميش ومكتبة دير الشير ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٢ كتاب لُبّ علم الذمَّة وهو خلاصة كتابهِ السابق . منهُ نسخة في بيت الشمَّاس شكري أيوب في حلب . يقال فيها انَّ ناقلها هو الاب ميخائيل (نو) رئيس رهبان اليسوعيين في حلب

١٣٧ ﴿بوسي﴾ الاب مكسيم دي بوسي اليسوعي (P. M. de Bussy) المتوفى سنة ١٨٥٢ . في مكتبتنا الشرقيَّة تعريب رياضاته الروحيَّة لترويض الاكليريكيين

١٣٨ ﴿بوسويت﴾ هو امير الخطباء الفرنسويين جاك بنين بوسويت (J. B. Bossuet) مطران مو المتوفى سنة ١٧٠٤ . عرَّب الاديبان المارونيَّان شاكر افندي عون وعبدالله بك البستاني خطابهُ في التاريخ العام فطُبع في المطبعة الاميريَّة الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٢ — وعرَّب في دمشق الشمَّاس توما ديبو المعلوف مقالتهُ «ظفر الصليب» فنشرها هناك سنة ١٩١٠

١٣٩ ﴿البوشي﴾ الانبا بولس القبطي مطران مصر . اشتهر في اواسط القرن الثالث عشر على عهد البطريرك كيرلس بن لقلق وحضر مجادلتهُ عند الملك الكامل ابن العادل بن أيوب . كان خطيباً بليغاً . لهُ من المخطوطات : ١ سبعة ميامر على الاعياد

السيدة. ذكرها ابو البركات بن كبر في قانته Riedel : p.659. ٢ً له ميامر متفرقة في عيد البشارة في ميلاد المسيح وفي معرفة الاله المتجسد من القياس العقلي وفي معمودية الرب وفي قيامته وفي صعوده وفي حلول الروح القدس تجدها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقية (العدد ٥٩) . وفي بعض نسخ مكتبة باريس .Paris, Mss (ar.,69, 141, 212)

١٤٠ ﴿بوفيه﴾ الاب فردريك اليسوعي (P. Fred. Bouvier) الذي قُتل في الحرب الكونية سنة ١٩١٦ في خدمة الجرحى . لهُ عدة آثار شرقية طبع على الحجر بالفرنسوية تاريخاً لسورية منذ العهد الروماني الى ايامنا (سنة ١٩٠٣) . له في المشرق وفي مجلة الشرق المسيحي مقالات تاريخية عن حوادث الشام الدينية والسياسية

١٤١ ﴿بولس الرسول﴾ لهُ في الآثار العربية : ١ً قصة معراجهِ في مكتبة باريس السريانية (Cod. Syr., 34 n° 6) . ٢ً في مكتبتنا الشرقية ثلث نسخ من رؤيا القديس بولس للجمع والنعيم . اطلب تيشندورف (Tischendorf: Apoca-lypses, p. 34 et seqq) . وللقديس بولس ايضاً ٣ً وصايا في احد كتب المجامع المخطوطة في مكتبتنا الشرقية تحت عنوان «وصايا متفرقة للسليحين الاطهار» ومن جملتهم بولس الرسول (ص ٩١—١١٣)

١٤٣ ﴿بولس الراهب﴾ هو اسقف صيداء الانطاكي الروميّ الملكي من اهل القرن الثالث عشر . له عشر مقالات جليلة الفائدة حسنة الانشاء بليغة المعنى سديدة البرهان : ١ً شرح العقيدة النصرانية . ٢ً خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد . ٣ً رسالة الى بعض المسلمين من صيداء . ٤ً رسالة في الفرق المتعارفة من النصارى . ٥ً رسالة في الردّ على الاراسيس . ٦—٨ً ثلاث مقالات فلسفية جواباً على بعض مشايخ مصره في الخير والشر ثمّ في معجزات المسيح ثمّ في اختيار الله للابرار وحرية الانسان . ٩ً رسالة عقلية في وجود الباري تعالى وكمالاته واقانيمه في ٢٢ باباً . ١٠ً مسألة واحدة في نسخ شريعة اليهود من التوراة والانبياء . وهذه المقالات نشرنا مظمها في سنين مختلفة من مجلة المشرق ثمّ جمعناها مع غيرها من المقالات الدينية فطبعناها على حدة . وقد صدرت منها الطبعة الثانية بعد الحرب سنة ١٩٢٠ في ١٥٤ صفحة . ومن هذه المقالات نسخ عديدة ثلث منها في مكتبتنا

الشرقيّة ثمّ نسخ اخرى في مكتبة الڤاتيكان (BO. II, 511, n° 50) وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٩٢) وفي مكتبة (١ باريس (Paris. Mss, 165, 258) وفي مكتبة لندن (Suppl. n° 22) وفي مكتبة الخوري قسطنطين الباشا وفي دير رهبان الكلدان في الموصل وفي بيت المرحوم حنا عورا

١٤٤ ﴿ بولس اللعازريّ ﴾ المرسل في حلب في اواسط القرن التاسع عشر لهُ في مكتبتنا الشرقيّة مجادلات جرت بينهُ وبين كيرلُّس اسقف الروم الاورثذكس في حلب بخصوص سلطان الكنيسة واحبارها وتعليمها في انبثاق الروح القدس وذلك سنة ١٨٤٧ بنسبة فرار الشمّاس برثانيوس الى الآباء اللعازريين

١٤٥ ﴿ بولس بن راجية المعروف بالواضح ﴾ لهُ في المكتبة الڤاتيكانية ١ (ع ١٠١) كتاب عنوانهُ « كتاب ايمان الآباء وشواهدهم على الثالوث وسرّ الفداء » صفحاتهُ ٣١٦ كُتب سنة ١٦٨٩ . ولهُ ٢ (ع ١٢١ و١٣٧) ردود على اليعاقبة وعلى القائلين بالمشيئة الواحدة

١٤٦ ﴿ برليغ ﴾ الاب يوحنّا اليسوعي (P. J. Bollig) المتوفّى في ٩ آذار ١٨٩٥ . احد المستشرقين الالمان المتضلّعين باللغات الساميّة نشر في رومية منتخبات مدرسيّة عربيّة سنة ١٨٨٢ وفي مطبعتنا الكاثوليكيّة ترجمة سريانيّة لقصائد القديس غريغوريوس الثاولوغوس سنة ١٨٩٥ . ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة دفاتر شتّى في مواضيع طقسيّة شرقيّة عربيّة وسريانيّة مع ترجمتها الى اللاتينيّة

١٤٧ ﴿ برناتي ﴾ الاب فيلبُّوس اليسوعي عاش في اواسط القرن الثامن عشر - عثرنا لهُ في مكتبة دير طاميش على كتاب « في السندروس الكياريّ » قدّمهُ للمركيز دي البرتوس وزير يوحنّا الخامس ملك البورتغال

١٤٨ ﴿ برناونتورا ﴾ القديس الفرنسيسي المتوفّى في ليون في ١٤ تموز ١٢٧٤ . في مكتبة حلب تعريب مزاميره لخدمة العذراء . وقد عرّب لهُ الاب لاورندوس النحو الطرابلسيّ الفرنسيسي كتابهُ في سيرة القديس فرنسيس الاسيزيّ فطبعهُ في القدس سنة ١٨٨٢

---

١) في نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٥٨ فصل لابن الراهب « في سيامات المبشرات التي يعدّها الناس مرضيّة لله وهي تثير غضبهُ » لم تقف عليه

١٤٩ ﴿بوناونتورا﴾ الاب اماديوس من الرهبان الاصغرين. لا نعرف زمانهُ. في مكتبة الشرفة تعريب حياة مريم العذراء للاب بوناونتورا اماديوس عرّبهُ البطريرك اغناطيوس بطرس جروه. ولعلهُ هو كتاب «حياة مريم» المنسوب غلطاً في السلاسل التاريخيّة للفيكونت فيليب دي طرّازي الى «مار اوغسطينوس»

١٥٠ ﴿بوناونتورا دي تورد﴾ الاب الكبوشي (P. Bon. de Trude) كان في الشطر الثاني من القرن الثامن عشر. ١ً اطّلعنا لهُ في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت قبل الحرب على كتاب «قواعد الامانة المسيحيّة» وهو ردّ على اضاليل الروم. ٢ً في مكتبتنا الشرقيّة «سؤالات مفيدة للكاهن لمساعدة الذين يتقدّمون لسرّ التوبة» في ٦٢ صفحة نجز في صيداء سنة ١٧٨٩ «بعمل الخوري بوناونتوره القبوشي»

١٥١ ﴿بوناونتورا اللودي﴾ الاب الكبوشي (P. Bon. de Lude) كان رئيساً في حلب على دير الآباء الكبوشيين من السنة ١٦٢٩ الى ١٦٤٠ ولا نعرف سنة وفاتهِ. لهُ عدّة تآليف مخطوطة يُدعى فيها «اللوديني» و«اللوضوني» و«اللودائي». ١ً اصول الايمان وايضاح عقائد البيعة الرومانيّة. منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة (Bibl. Vat. n° 132) وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب في حلب تاريخ النسخة ١٦٥١. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة حديثة عنوانها «شرح بعض قواعد الامانة المسيحيّة». ولعلهُ هو الكتاب المنسوب سابقاً للاب بوناونتورا دي تورد. ٢ً سيرة وعجائب القديس فرنسيس ووصيّتهُ وقانونهُ. ٣ً كتاب في سرّي الاعتراف والمناولة. ٤ً كتاب تجنّد ابن لله. وهذه الكتب الثلثة مذكورة في قائمة تآليف الآباء الكبوشيين (P. Hilaire de Barenton : *La France Catholique en Orient*, p. 122-123). ٥ً كتاب «هدى الخطاة الى طريق النجاة» للاب لويس دي غرناطة عرّبهُ البادري بوناونتورا اللوضوني رئيس الكبوشيين في حلب منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة. ٦ً بسبب اختلاف الطوائف الشرقيّة واعرافها من البيعة الرومانيّة منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة غير كاملة. ٧ً سلسلة الباباوات من القديس بطرس الى اينوقنت العاشر في المكتبة الفاتيكانيّة (ع٥٧٤) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة بلّغها المؤلف الى مرقوس الثامن. ٨ً كتاب حوادث الجوّ وهو كتاب في الظواهر الجويّة والطيميّات منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة.

ونسخة في دار المنسيور جرجس شلحت في حلب

١٥٢ ﴿بوناونتورا ملڤاسيا﴾ الراهب الفرنسيسي (Bonav. Molvasia di Bolonia) كان في القرن السابع عشر له كتاب جلاء المرآة ردًّا على زين العابدين طبعهُ في رومية سنة ١٦٢٦ بالعربيَّة واللاتينيَّة (Dilucidatio Speculi, *Cfr.* Schnurrer, 244)

١٥٣ ﴿بوهور﴾ الاب دومينيك اليسوعي (P. D. Bouhours) المتوفى في ٢٧ أيار سنة ١٧٠٢ . ١ طُبع لهُ في رومية سنة ١٨٤٦ تأمُّلات شهريَّة في عبد ٣١ تأمُّلا . ٢ ونشرت لهُ مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٠ و ١٨٧٤ كتاب قوت الحياة الروحيَّة للحياة المسيحيَّة . ٣ وقد سبق انَّ كتاب سيرة القديس فرنسيس كسفاريوس منقولة عنهُ

١٥٤ ﴿بيجيني﴾ الكبوشي (P. Onuphre Piccini) لا نعرف زمانهُ لهُ في مكتبة باريس (Ms de Paris, 129) كتاب رياضات روحيَّة لعشرة ايَّام عرَّبها القس يواصف الراهب الماروني سنة ١٧٢١ ونسخها القس خدر الكلداني سنة ١٧٣١

١٥٥ ﴿بيرُّوس﴾ كان بطريركاً على القسطنطينيَّة وزعيماً للبدعة المونوثليَّة توفي سنة ٦٥٥ . في المكتبة الڤاتيكانيَّة (ع ١٠٥) مباحثة بين مكسيموس الراهب القديس وبيروس البطريرك القسطنطيني في المشيئة الواحدة . منها في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان . وهي تعريب عبدالله بن الفضل الشمَّاس الانطاكي

١٥٦ ﴿بيرون﴾ الاب يوحنا اليسوعي المتوفى سنة ١٨٩٢ (P. J-B. Biron) عرَّب لهُ الخوري نقولا صفير من عجلتون كتاب فرض اخويَّة الميتة الصالحة فطبعهُ في مطبعة الارز سنة ١٩٠٠

١٥٧ ﴿بيرُّوني﴾ الاب يوحنَّا اليسوعي واللاهوتي الشهير (P. J. Perrone) المتوفى في ٢٨ آب سنة ١٨٧٦ . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة حسنة من كتابهِ مختصر المقالات اللاهوتيَّة مخطوطة سنة ١٨٧٢ من تعريب الخوري يوسف الدبس (ص ٤٧١) . ثمَّ عُني بطبعها في ثلثة مجلَّدات في المطبعة العموميَّة (١٨٧٧–١٨٨١)

١٥٨ ﴿بيكان﴾ الاب مرتينوس اليسوعي (P. M. Becan) المتوفى في ڤينة سنة ١٦٢٤ . قد عرَّب الاب بطرس فرومان مجادلاتهِ في دحض الشيع

البروتستانيَّة تحت عنوان «الصبح المبين لضلال لوتاروس وكلوين» في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ اربع نسخ. وفي حلب نسختان في مكتبة المرانة ومكتبة الارمن

١٥٩ ﴿بيمين الراهب﴾ قال عيسى افندي اسكندر المطوف في مجلة النعمة (١ : ١٤٣—١٤٤) . «انَّ الراهب بيمين كتب في دمشق في ١٨ نيسان سنة ٦٧١٤ للعالم (١٢١٦م) الموافق لآخر ذي الحجة سنة ٦٠٤ كتاب المحيط وجدهُ الارشيدياقون بولس زعيم في قارة» ولم يزد افادةً عن موضوع الكتاب وصاحبه

١٦٠ ﴿بينامُنتي﴾ الاب يوحنَّا بطرس اليسوعي (P. J. P. Pinamonti) المتوفَّى في ٢٩ حزيران ١٧٠٣ . من آثارهِ المخطوطة : ١ً كتاب في التقسيم والسحر عرَّبهُ السيد اغناطيوس شرابيه مطران صور وتلميذ المدرسة الرومانيَّة منهُ نسخة في دير الشرفة . ٢ً—٥ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمة اربعة كتب للاب يوحنَّا بطرس بينامونتي اليسوعي نقلها من الايطاليَّة الى العربيَّة سنة ١٧٨١ القس رافائيل زغّور الراهب المخلصي في دير المخلص : ١ً القلب المتخشِّع يبدل الخاطئ بتائب متورِّع (تأملات لأيام الاسبوع) . ٢ً المرآة التي لا تغشّ او نظريَّة وعمليَّة معرفة الانسان ذاته . سبع تأملات (ص ٣٦—٧٥) . ٣ً الصليب الحقيق او اسباب التخشُّع في الشدائد . سبع تأملات (٧٦—١١٤) . ٤ً الحكمة الحقيقيَّة . تسع تأملات في الخطيَّة وعقابها (١١٤—١٦٠) . وكتابهُ القلب المنسحق قد عرَّبهُ ايضاً الخوري عبدالله الشابي منهُ نسخة في مكتبة المرانة في حلب (ع ٤٣٦) وقد طبعهُ في عدن سنة ١٨١٨ القس لياوس المتيني وهناك تنسب ترجمتهُ الى المطران فرحات (لهُ صلة)

اصول التاريخ البشريّ وسوابقهُ

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

تأويلات اصحاب النشوء والتحوُّل على سوابق التاريخ

انَّ انصار مذهب النشوء والتحوُّل على اختلاف طبقاتهم من ماديين ولاهوتيين ودروينيين وضديين يلتجئون لتأييد رأيهم الى حجج مختلفة يستندونها الى

البروتستانيَّة تحت عنوان «الصبح المبين لضلال لوتاروس وكلوين» في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ اربع نسخ. وفي حلب نسختان في مكتبة المرانة ومكتبة الارمن

١٥٩ ﴿بيمين الراهب﴾ قال عيسى افندي اسكندر المطوف في مجلة النعمة (١ : ١٤٣—١٤٤) . «انَّ الراهب بيمين كتب في دمشق في ١٨ نيسان سنة ٦٧١٤ للعالم (١٢١٦م) الموافق لآخر ذي الحجة سنة ٦٠٤ كتاب المحيط وجدهُ الارشيدياقون بولس زعيم في قارة» ولم يزد افادةً عن موضوع الكتاب وصاحبه

١٦٠ ﴿بينامُنتي﴾ الاب يوحنَّا بطرس اليسوعي (P. J. P. Pinamonti) المتوفَّى في ٢٩ حزيران ١٧٠٣ . من آثارهِ المخطوطة : ١ً كتاب في التقسيم والسحر عرَّبهُ السيد اغناطيوس شرابيه مطران صور وتلميذ المدرسة الرومانيَّة منهُ نسخة في دير الشرفة . ٢ً—٥ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمة اربعة كتب للاب يوحنَّا بطرس بينامونتي اليسوعي نقلها من الايطاليَّة الى العربيَّة سنة ١٧٨١ القس رافائيل زغّور الراهب المخلصي في دير المخلص : ١ً القلب المتخشِّع يبدل الخاطئ بتائب متورِّع (تأملات لأيام الاسبوع) . ٢ً المرآة التي لا تغشّ او نظريَّة وعمليَّة معرفة الانسان ذاته . سبع تأملات (ص ٣٦—٧٥) . ٣ً الصليب الحقيق او اسباب التخشُّع في الشدائد . سبع تأملات (٧٦—١١٤) . ٤ً الحكمة الحقيقيَّة . تسع تأملات في الخطيَّة وعقابها (١١٤—١٦٠) . وكتابهُ القلب المنسحق قد عرَّبهُ ايضاً الخوري عبدالله الشابي منهُ نسخة في مكتبة المرانة في حلب (ع ٤٣٦) وقد طبعهُ في عدن سنة ١٨١٨ القس لياوس المتيني وهناك تنسب ترجمتهُ الى المطران فرحات (لهُ صلة)

اصول التاريخ البشريّ وسوابقهُ

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

تأويلات اصحاب النشوء والتحوُّل على سوابق التاريخ

انَّ انصار مذهب النشوء والتحوُّل على اختلاف طبقاتهم من ماديين ولاهوتيين ودروينيين وضديين يلتجئون لتأييد رأيهم الى حجج مختلفة يستندونها الى

الاكتشافات المستحدثة اعني الى الآثار البشريَّة من عهد الظرَّان والى جماجم قوم سبقوا زمن التاريخ . ويزعمون ايضاً انَّ الامم الهمجيَّة الباقية الى اليوم في جزائر اوقيانية تمثِّل بوائقٍ بعيدة حالة الانسان الاوَّل

والغاية من هذه الحجج اطالة الاعصار التي ظهر قبلها الانسان وهم في حاجة الى ذاك تمديد الازمنة فيبلغونها الوفاً من الاجيال ليقنعوا بصحَّة مذهبهم اي تناسل الانسان من الحيوان . فان كان اصلهُ من القرد او من احد اجدادهِ كان يُقتضى لهُ عدد عديد من القرون لكي يتحوَّل بنوع غير محسوس من حالة القرد المربع الايدي الى هيئة الانسان الجديد

وكان اكتشاف الظرَّان وهي الحجارة المنحوتة التي وجدوها في بلاد مختلفة احد الادلَّة التي تشبَّثوا بها لاثبات رأيهم . على انَّ خصومهم فكروا في اوَّل الامر انَّ تلك الحجارة من اعمال البشر فكانوا ينسبون اشكالها لعوامل طبيعيَّة كالحرارة والبرد وضغط الطبقات الارضيَّة الخ لكنهم تحقَّقوا بعد ذلك كونها من شغل الانسان اذ وجدوها مختلطةً بعظام الحيوان عند بقايا مستوقدات فعرفوا انَّ بشراً اقدمين توسَّلوا بتلك الحجارة ونحتوها نحتاً مطبوعاً ليستخرجوا نقيَّ العظام ومخَّها . ثمَّ وقفوا على بعضٍ منها وعليها رسوم ونقوش وقابلوا ما وجدوا منها في بلاد شتَّى فلم يبق لاحد ريب في نسبتها لبني البشر

على انَّ تلك الحجارة المنحوتة كان شغل البعض منها خشناً مع اتقن بخلاف البعض الاخر المحكم الصنع والصقيل كأنَّ الذين استحضروهُ قوم دون عقل ارقى وانقب . ومن ثمَّ قسم العلما الازمنة التي استخدم الانسان لحاجاتهِ الحجارة المنحوتة دون سواها الى طورين مختلفين متواليين دعوا اوَّلهما عهد الظرَّان القديم (paléolithique) والثاني عهد الظرَّان المستحدث (néolithique) . وكان في اثناء اكتشاف علما الجيولوجية للظرَّان قد احتدم الجدال عن مذهب النشوء فما كان من امر اصحابهِ الَّا ان تسارعوا وزعموا انَّ الظرَّان القليل الاتقان هو لقومٍ من الهمج سلفَ عهدهم كانوا في اوَّل نشوء عقلهم البشري امَّا الظرَّان الصقيل ذو العمل المحكم فهو لقوم ترقَّوا نوعاً في الحضارة لنموّ عقلهم

وكذلك قد لحظوا في آثار الهياكل البشريَّة وعظامها بعض الاختلاف فان

جماجم بعضهم كان يظهر فيها حجاج حواجبها ناتئاً مستديراً امّا الجبين والذقن فكانا خفيفين وكان الثلث بارزاً على شبه الامم الهمجيّة التي تُرى اليوم في مجاهل اوستراليا او ارض النار ومنها بعض البقايا في قوم متمدّنين . وكانت جماجم أُخرى ذات جبين اعرض وذقن مستو وفكّين قليلي البروز كأنها اقرب الى صورة الامم المتمدّنة

على انّ هذه التقاسيم التي استند اليها المتمذهبون بمذهب النشوْ والتحوُّل انما كانت تقاسيم اصطناعيّة مبنيّة على التخيُّل اكثر منها على صحّة الامور حيث قسموا الازمنة بموجب رأيهم وجعلوا الظرّان الخشيب والجماجم الشبيهة نوعاً بجماجم بعض الحيوان في طور القدم والظرّان المتقن العمل والجماجم السويّة في طور احدث وجعلوا بين الطورين درجات مختلفة على حسب ما كانوا يرون في تلك الآثار من تقرّبها الى احد الطرفين لكي يستنتجوا من ذلك ان الانسان تحوّل من صورة الحيوان الى صورة الانسان وان كانوا لا يستطيعون ان يعيّنوا الزمن الذي حصل فيه هذا الانقلاب

وقد علم اصحاب المذهب انّ تحوُّلاً كهذا لا يتمّ الّا اذا اطالوا الاجيال لأن الانواع على قولهم لا يُمكن تحقيق تنوُّعها الّا بعد القرون الطويلة . وهذا ما حملهم على القول انّ الجنس البشري ظهر على الارض قبل مئتي الف بل خمسمائة الف سنة وازيد . وقد سبقت بلوغ الانسان الى حدّ النطق اجيالٌ اخرى يعدُّونها بالالوف ترقّى فيها من البهيميّة الى الانسانيّة وهو في تلك الحقبة خالٍ من اثر التميز لا يستطيع ان يخترع شيئاً دالّاً على عقله

ومن حججهم ذكرهم للقبائل الهمجيّة التي بقيت الى اليوم فعلى زعمهم انّ هذه القبائل قد توقّفت في سيرها الى الكمال لاسباب طرأت عليها فثبتت في همجيّتها الى يومنا . ويدلّ على ذلك شبه جماجمها بجماجم البهائم التي كانت عائشة قبل ثلثمائة الف سنة ومنها نشأ الانسان الحالي وكانت في تلك الازمنة القاصية تستعمل الظرّان كما يستعملهُ الى عهدنا برابرة اوقيانية حاضراً

انتقاد حجج اصحاب مذهب التحوُّل والنشوْ

تلك هي تأويلات اصحاب مذهب التحوُّل والنشوْ ولعلّ القارئ لدى استماعهِ

احتجاجهم الذي لا يتردَّدون في تأكيده وقد اجتهدوا في نشره طاقة جهدهم في تآليفهم العلميَّة والمدرسيَّة التي شحنوها بتصاوير الجماجم المنظَّمة تنظيماً يُقنع القرَّاء ولاسيَّما الشيعة برأيهم كون الانسان حقيقةً تطوَّر متحوِّلاً بتمادي الاجيال من الحيوان المعجم الى الحيوان الناطق وانَّ القرد ابوهُ او على الاقل ابن عمهِ وانَّ لكليهما جدًّا واحدًا

فما قولنا نحن أمن الحقيقة انَّ اجدادنا الاوَّلين كما تصرِّح بهِ الكتب المدرسيَّة اللادينيَّة كانوا من الهمج في حالة من التوحُّش ادنى من توحُّش قبائل البرابرة المعروفين اليوم ؟ وانَّهم كانوا يسرحون في الاقفار لا يعرفون ادباً ولا ديناً خالين تقريباً من نور العقل لا يكادون يقتاتون الَّا من الاثار البريَّة الى ان تمكَّنوا من استحضار بعض الاسلحة فعاشوا من صيدهم ؟

كيف يمكننا يا رعاك الله ان نوفق بين هذه المزاعم وما تعلَّمناهُ في صغر سننا من الاسفار المقدَّسة عن الابوين الاوَّلين اللذين خلقهما الله في حالة النعمة والقداسة وخوَّلهما عقلاً تامًّا وفهماً ثاقباً

فها نحن نجيب على الدليلين اللذين يستند اليهما ذوو مذهب التحوُّل والنشوء

دحض الحجَّة الاولى المستند اليها اصحاب التحوُّل والنشوء

ولنفحص اوَّلاً الحجَّة الاولى التي بنوها على حالة الامم الهمجيَّة الباقية الى عهدنا . وعلى التشابه بين جماجمهم وجماجم الامم البائدة واصطناعهم الظرَّان

ان هؤلاء الهمج على قولهم بقايا من البشر الاوَّلين المتوحشين ثبتوا على همجيَّتهم دون ان يواصلوا سيرهم الى اوج الكمال

يا لهُ من دليلٍ واهٍ وبرهانهم هذا من الوجه الفلسفي نوع من السفسطة اذ يركنون امرًا دون ان يثبتوهُ بالبرهان . فكما انَّهم يؤكدون جزافاً كذلك نحن ننفي قولهم قطعيًّا . وسنجيب على احتجاجهم عن شبه جماجم هؤلاء البرابرة والبشر الاوَّلين عند جوابنا على مزعمهم الثاني

وما يمكننا ان نؤكدهُ لهم ببراهين صحيحة لا وهميَّة كبراهين اصحاب التحوُّل والنشوء انَّ البرابرة المعروفين اليوم ليسوا كما يزعمون همجاً توقَّفوا في ترقيهم في المدنيَّة بل انَّهم قومٌ كانوا في مقام ارفع من التمدُّن والعمران ثم سقطوا عنهُ متقهقرين

لسمع ما كتبهُ احد اساطين العلم منذ عهد قريب المسيو هنري جولي (١ قال :

« قد امتاز بين الذين كتبوا عن تاريخ الانسانيَّة القديم العلَّامة الانكليزي لَنْغ (Lang) فأحرز لهُ ذكرًا طيبًا بأصالة رائهِ وصائب فكرتهِ فهو يقول : انَّ معظم علماء المدروس الانثروبولوجيَّة يرتأون اليوم فيما يخصّ الامم الهمجيَّة انَّ بعض القبائل كما يترجَّح كانت سابقًا على حالة افضل منها اليوم . فانَّ قبائل الفويجيَّة من برابرة اميركة الوسطى وقبائل البوشيجان من همج افريقية الجنوبيَّة وقبائل الفنود المعروفين بديجر كانت تسكن في بلاد مخصبة فزحفت عليها قبائل اخرى اشدّ بأسًا وطردتها من الاقطار التي تسكنها اليوم وبعد ان كانت تسكن البيوت اضطرَّت الى العيشة البدويَّة . ومما انتجهُ علماء بعثة انرئية ارسلت حديثًا الى السودان ان هناك كهيآت من الطرّان الصقيل وآثارًا من حضارة ارق واعظم ايادها الَّا القليل منها قومٌ عُداة فتكوا باصحابها واستولوا على بلادهم . وقد لحظ ذلك مبشّرون من البروتستانت في بشاتم الى افريقية الجنوبيَّة

« ويؤيّد شهاداتهم انَّ تلك القبائل تجهل اليوم الكتابة مع انَّ لفظة الكتابة لا تزال في لغتهم . وهذا دليل على انَّ اجدادهم عرفوا الكتابة فعلًا وهم لم يعرفوا الآن غير اسمها . وكذلك تجد في مدافنهم خزفيَّات وهم اليوم يجهلون صنعها »

وقال آخر (٢ :

« انَّ لبعض هذه القبائل الهمجيَّة كبرابرة اوستراليا والفويجيين في طرف اميركة المتوسّطة لغةً فقيرة جدًا قاصرة في يومنا الحاضر لكنَّ فيها سمةً تدلُّ على غناها سابقًا حتَّى انَّها كانت تفوق بخواصها عدَّة لغات شائعة كتصريفات اسماء وافعال غاية في الدقَّة . وترى في مساكنهم آثار نقش وتصوير تشهد على رقيهم في الحضارة سابقًا وعلى بطلانها حاضرًا . ومنها يستدل على كون هذه القبائل سقطت عن مقامها القديم لوجودها في ظروف غير موافقة وليست هي بقايا امم همجيَّة ترقَّت في صعودها الى مدارج التمدُّن

وهذا التقهقر من الامور السهلة لاسيَّما في الازمنة السالفة حيث كانت القبائل تسكن وهي قليلة في اقطار واسعة او كانت المواصلات بين الشعوب عسرة فكانت القبيلة اذا ابتعدت عن شقائقها لتعيش بالاستقلال في قطر بعيد لا تستطيع ان تنقل معها كثيرًا من الادوات التي تحتاج اليها . او كانت تفقد تلك المعلومات باهمال مزاولتها لما طرأ على اصحابها من الضيقات وصعوبة المعاش والحروب وغير ذلك مما افرد تلك القبائل وفصلها عن المجتمع البشري فهبطت الى دركات الذلّ بعد هنائها وحسن احوالها

---

١) اطلب كتابهُ Henry Joly : *Histoire de la Civilisation*, p. 9

٢) اطلب Moulard et Vincent: *Apologétique Chrétienne*

فلنفترض انَّ قوماً من اهل تمدُّننا العصري الذين يعرفون اسرار العلوم من طباعة وصحافة وكهرباء يُخفي عليهم الدهر فيسوقهم الى جزيرة من جزائر البحر البعيدة عن المجتمع الانساني حيث يحتاجون الى كلّ اسباب المعاش ولوازم السكن وليس لديهم كثير من الموادّ والادوات التي لا بُدَّ منها للزراعة والفلاحة والبناء الخ. ثم تفقُّدهم بعد ثمانين او مئة سنة من هذه العيشة الفرديَّة المتزلة تجد فيهم قد صاروا اشبه بالشعوب الهمجيَّة. وما لنا نطلب امثالاً بعيدة ألسنا نرى في نفس البلاد المتمدّنة وحواضر الدول إمَّا قرًى منفردة في الجبال وامَّا أحياء لا يسكنها غير الفقراء فانَّ بين هؤلاء والذين يعيشون في بحبوحة العزّ ورغد التمدُّن بوناً عظيماً

وقد سبق لنا القول في جودة عقل الامم الهمجيَّة وآدابها الدينيَّة. ويحسن بنا ان نزيد هنا ما يختصّ بشواعرهم الدينيَّة. كان الشائع في العالم المتمدّن في اواخر القرن التاسع عشر ان معظم الامم الهمجيَّة في افريقية واوقيانية واميركة كانت خالية من كلّ دين وانَّ الذين سافروا الى مواطنهم لم يعثروا عندهم لأدنى اثر من الدين بل كانوا يؤكدون ان لغاتهم لا تحتوي على الفاظ تُشعر بمعبود سامٍ او إله. امَّا اليوم فرأي العلماء من هذا الصدد قد اختلف اختلافاً قاطعاً بعد ان حاول المرسلون الكاثوليك والمبشّرون البروتستانت ان يرشدوا تلك القبائل فانهم تحقَّقوا ان كلّ تلك الامم تقريباً تعتقد وجود معبود اسمى يميّزونهُ بكل تدقيق عن اجدادهم الذين يكرمونهم وعن الارواح الشرّيرة التي يرهبونها. وتبيَّنوا في لغاتهم المفردات والتعابير الدالَّة على ذاك المعبود (١). وفي ذلك دليل آخر على هبوط تلك القبائل التي عُرفت في حال عزّها السابق وجود الاله ثمَّ تحوَّلت شواعرها الدينيَّة الى تأليه الطبيعة وقوَّاتها

ولله درّ المسفار الانكليزي الشهير السر ستانلي (Stanley) الذي طاف في مجاهل افريقية في اواسط القرن التاسع عشر حيث يقول:

« الغالبُ على رأيي ان القبائل والشعوب تخضع لذات العوامل المؤثرة في البال. فكما انَّ البلة التي تبقى مَتروكةً دون علاقة مع الخارج لا تلبث ان تتوحش كذلك الامم. فان في آسية وافريقية فروعاً بشريَّة تفرَّدت عن قبائل زاهية نامية وعن أمم وافرة العدد. فمن يعتبر هذه الفروق بعد انقطاعها بين جدودها بنحو ثلثمئة الاف سنة يتحقَّق ما ألمَّ بها من التقهقر

(١) راجع Recherches de Science religieuse, *Août-Septembre 1917*

والهبوط لاسباب ظاهرة كالزواج بين الاقارب وكالاغتذاء بالفطر والاثمار البريّة او باللحوم الفسيلة او الدويبات الميتة ثمّ سكنى تلك القبائل في بطن الارض دون النور وقلّة العناصر المغذية والسكّريّة. فكلّ هذه الاسباب تحول دون نموّ هؤلاء الناس وتمنع بلوغهم الى الشدّة الكاملة فيبقون زعانف قصيري القامة قليلي القوّة. وحيثما لا يوجد رقيّ فلا بُدّ من التقهقر »

وهناك عامل آخر غير العوامل الطبيعيّة لهُ تأثير عظيم في انحطاط تلك الشعوب البربريّة ألا وهو العامل الادبيّ. كلّ يعلم انّ في الانسان قوّة التمييز بين الخير والشرّ وانّ لهُ مع ذلك حرّيّة ربّما دفعتهُ الى تفضيل الشرّ على الخير. فان تبع صوت شهواتهِ لا تلبث ان تستعبدهُ وتهبط بهِ الى ان يصير شبيهاً بالحيوان. والى هذا اشار الكتاب الكريم لمّا وصف لنا قابين شاردًا طريدًا على وجه الارض بعد قتلهِ أخاهُ

وقد بحث احد الكتبة العصريين (١ عن هذا الامر ليتبيّن هل الامم الهمجيّة هي متأخرة في طريق الكمال كما يزعم اصحاب التحوُّل والنشوْ او هي بالحري ساقطة عنهُ فاقدة لخيراتهِ قال : « انّ الجواب على ذلك في طبيعة الانسان فانّهُ وان يرى الخير ويعرف فضلهُ يرخي العنان لشهواتهِ فتؤدي بهِ الى الهمجيّة. وعلى خلاف ذلك اذا قهر تلك الشهوات ارتفع وتسامى الى الكمال الادبيّ والتمدُّن » . ثمّ اردف قولهُ بهذا الملحوظ : « اعلم انّ في قلب كلّ انسان همجيًّا لاطئاً يستطيع ان ينتفض من بنتهِ فيؤدي بصاحبهِ. ألا ترى كيف انّ الآباء اليسوعيين لمّا حطّوا بين برابرة اميركة المعروفين بالهورانيين في بلاد باراغواي حوّلوهم بوقت قريب الى رجال فضل وتمدُّن راقٍ. ورأيٌ عين خلاف ذلك في الحرب الاخيرة زعماء الجرمانيين بمبادئهم الفاسدة نفثوا في قلوب جنودهم روحاً همجيّة لفتكة اعدائهم جعلتهم اذلّ وادنى شأناً من البرابرة المعروفين بالسيو (Sioux) والكومانش (Comanches) »

دحض الحجّة الثانية التي يستند اليها اصحاب التحوُّل والنشوْ زعمهم

فلنتخطَّ الآن الى الفحص عن السند الثاني الذي يعتصم بهِ المتذهبون بمذهب التحوُّل والنشوْ اعني تنظيم جماجم البشر الاوّلين وتقسيمهم لاطوار الظرّان الى القديم العهد والحديث العهد. فان بين هذين الامرين علاقةً في رأيهم كما سيلوح ايضاً من جوابنا. فانهم يزعمون ان تحوُّل الجماجم البشريّة والترقّي في تحت الحجارة دليلان لامعان على تحوُّل الجسم البشري وترقّي عقلهِ المتواصل

(١ الطب Maurice Hauriou, *Correspondant*, 25 Sept. 1918

لسنا ننكر انَّ بين هذه الجماجم ما يرقى الى عهد الظرّان وان بعضها خفيفة الجبهة والذقن بارزة الفكين وغيرها عريضة الجبين ذات ذقن وفكين شبيهين بصورة اهل عصرنا وانَّ بين الطرفين وسطاً يتقرَّب البعض الى الجنس الاوَّل والبعض الى الثاني. فيمكن اذن ان تُتَّخذ هذه الجماجم وتنظَّم على طريقة تدريجيَّة بياناً لتحوُّلها من هيئة الى أُخرى كما يصنع لرباب التحوُّل والنشوْ

وانَّما ننكر قطعيًّا انَّ النظام الصناعي المذكور يوافق حقيقة الامور والازمنة المزعومة التي ينسبها اليها اصحاب هذا المذهب

كذلك لسنا ننكر انَّ بين الظرّان وبين التصاوير الراقية الى الزمن السابق للتاريخ ما هو لمحكم صنعاً وأجود عملاً من سواهُ لكنَّنا ننكر ما يزعمهُ ذوو مذهب التحوُّل والنشوْ انَّ حُسن العمل يدلُّ على ترقٍّ في عقل البشر الاوَّلين وانَّ الظرّان الخشيب النحت هو عمل اولئك الذين في تركيب جماجمهم بعض الشبه بتركيب جماجم القرود وانَّ الظرّان المحكم العمل الصقيل هو على خلاف ذلك عمل اولئك للبشر ذوي الجماجم السويَّة الشبيهة بجماجم اهل زماننا. فهَبْ انَّ نحتهم هذا صار افضل واحكم من قرن الى آخر أفيدلُّ ذلك على تحوُّل في عقل الانسان؟ كلَّا

كان اجدادنا قبل مئتين او ثلثمائة سنة يسافرون بحرًا على مراكب قلاعيَّة او ركوباً على الخيل لا في العربات ولا يعرفون تلغرافاً آخر سوى النيران على رؤوس الجبال ونحن اليوم متشعون بالبخار وسكك الحديد والكهرباء. وعجائبها هل يمكن القول بان اهل زماننا ارقى عقلاً من اهل ذلك الزمان؟ وكم نرى اليوم من اعمال الاقدمين ومآثرهم التي نودّ معرفة اسرارها فنجهلها

انَّ البشريَّة سلسلة متواصلة فما يكشفهُ اهل زمانٍ يورثونهُ خَلَفهم. وهكذا حدث في القرون الاولى للبشريَّة فانهم سبقوا الى اكتشاف بعض المعلومات استفاد منها خلفهم. وليس ذلك دليلاً على عقل اوسع وانقب وانَّما هو فقط دليل على استثمارهم لما ورثوهُ من السلف واضافوا اليهِ من اختبارهم الخاصّ ما خلَّفوهُ لمن اتى بعدهم من البشر

وزد على ذلك ان تقسيم الظرّان الى قسم قديم وقسم حديث وتنظيم الجماجم بياناً لتحوُّل البشريَّة اصبحا اليوم من الامور المهملة التي لا سند لها بعد الاكتشافات

الحديثة للهياكل البشريَّة ولم يَعُد العلماء يعيرونها بالًا اذ لا تنطبق على سياق الازمنة

ثم انَّ الهياكل البشريَّة المختلفة التي وجدت الى اليوم قد اكتُشفت في انحاء شتَّى منفردةً فلو وجدوها مجتمعة في طبقة سُفلى وفوقها هياكل اخرى ذات جماجم سويَّة لأمكنهم ان يتَّخذوا ذلك حجَّةً على قِدَم ازمنتها وتنظيمها في سلسلة رسميَّة. امَّا وجودها متفرِّقةً في اقطار مختلفة متباعدة عن بعضها فيحول دون تنظيمها كما فعلوا واستنتجوا النتائج الواهنة من مقدِّمات خالية الصحَّة وبذلك عرَّضوا الناس الى الوهم والضلال

ولو الطالع تجد كلَّ متاحف اوربَّة المختصَّة بالعاديَّات البشريَّة قد نُظمت على هذا الترتيب الباطل المؤيد لمزاعم اصحاب التحوُّل والنشوْ ومنها استعارت الكتب المدرسيَّة الثائمة في ايدي الناشئة . فلو شاؤوا ان يقنعوا الناس بصحَّة هذا المذهب لوجب ان يذكروا في اي مكان وُجد كلّ هيكل بشري واي طبقة من الارض ويدلُّوا على اكتشافه منفردًا او مع غيره من هياكل بشريَّة

وقد جاءت حديثًا اكتشافات اخرى اقلقت افكار اولئك المنظِّمين وأبطلت مزاعمهم . فان الباحثين عن العاديَّات البشريَّة توفَّقوا الى اكتشاف مدافن بشريَّة وجدت فيها سواء وفي الطبقة عينها عدَّة هياكل انسانيَّة لقوم عاشوا في زمن واحد . واذا بينها جماجم من الشكلين اللذين زعموا انهما مختلفا الازمنة

فكان هذا الاكتشاف ضربةً لازبة للقائلين بالتحوُّل والنشوْ اذ تحقَّقوا انَّ اختلاف الجماجم ليس هو دليلًا على انَّ قوم بعضها سبقوا البعض الآخر بقرون متعدِّدة كما اراد انصار دروين والمدافعون عن مذهب التحوُّل والنشوْ . والدليل على بطلان رأيهم وجود جماجم ذات جبين خفيف وفكَّين بارزين وذقن صغير مختلطة مع جماجم أخرى شبيهة بجماجم الناس حالًا

فلمَّا شاع خبر هذه الاكتشافات وبحثت عنها المجلَّات العلميَّة وقع مذهب التحوُّل والنشوْ في حيص بيص وخلَّف بينهم صوتَ الانتصار صوتُ الحيرة . فمنهم من أنكر صحَّة تلك الاكتشافات ولم يُرد الاذعان الى الحقيقة امَّا العلماء منهم فارادوا ان يفحصوا المدافن التي وجدوا فيها الجماجم المختلفة الهيئة واذ كانوا ذوي نيَّة مستقيمة اعلنوا في مجلَّات علميَّة بخطئهم السابق . وانما على اقرارهم بالحقيقة شاهد

جليل بما صرَّح بهِ احد زعمائهم وهو الدكتور ڤيرشوف (D' Wirchow) رئيس جامعة برلين الذي كان دافع عن مذهب التحوُّل والنشوْ وتسلسُل الانسان من القرد بتآليف متعددة فانهُ اعلن في مؤتمر العلوم السابقة للتاريخ المنعقد في موسكو سنة ١٩١٢ ما تعريبهُ :

«اننا في مسألة تحوُّل القرد الى انسان قد ذهبتْ كلّ مساعينا ادراج الرياح . وكل ابحاثنا التي واصلناها لتبيّن ترقّي الحيوان الى كيان الانسان لم يحصل منها نتيجة . لا يوجد سلفٌ للانسان الاوَّل . لم يتسلسل الانسان من القرد . والمَلَقات الرابطة بين هذين الطرفين خيال محضٌ لا نصيب لها من الصحَّة . . . »

فيتجح ممَّا سبق انَّ كبار العلماء لم يعودوا يعوّلون على ترّهات القائلين بالتحوُّل والنشوْ اذ وجدوا خلوّ مذهبهم من كلّ اساس ببطلان اقوى براهينهم المبني على تطوُّر الجماجم من حالة شبيهة بالحيوان الى صورة بشريَّة وقد وُجد كلا الصنفين في المدافن عينها . وبسقوط زعمهم عن التشابه الطبيعي بين الحيوان والانسان سقط كذلك بالاحرى رأيهم في تطوُّر النفس البشريَّة وتناسلها من الحيوان

ويترتَّب في الوقت عينهِ على هذا الاكتشاف الحكم الصائب في الاعمال البشريَّة القديمة من ظرّان وتصاوير ومنحوتات انَّها ليست متطوّرة على موجب ازمنة شتّى تتوسَّط بين خشيبها ومحكمها القرون العديدة على حسب ترقّي العقل البشري من الاصل البهيمي وانَّما هي اعمال قبائل مختلفة او عمَلة مختلفين بينهم الحاذق الماهر والجاهل الاخرق نحتوا الظرّان في وقت واحد على اختلاف حسنهِ وهيأتهِ وعلى موجب ذوقهم وغايتهم ولا دليل انَّ بعضهم كانوا أحطَّ عقلًا من البعض

وعلى خلاف ذلك يجب القول انَّ البشر الاوَّلين لقلَّة الوسائط التي كانت لديهم دلُّوا بما صنعوهُ على ذكاء عجيب وعقل ثاقب . قال غويبت (Güibert) احد الكتبة المحدثين :

« انَّ البشر الاوَّلين كانوا من نوابغ المكتشفين فانَّهم سبقوا الى نحت الحجر والخشب . قد اصطنعوا لخدمتهم ادوات واسلحة توسَّلوا بها الى تذليل الحيوان . قد بنوا لهم مأوًى للسكنى وجمّروا ثيابًا للكسوة . قد اوقدوا النار . وزاولوا صناعة الرسم والتصوير . حوّلوا بعض الكهوف الى مساكن او قل الى معابد . اكرموا موتاهم واودعوهم اللحد مقرّنين بذلك على اعتقادهم بالحياة . وليس لكل ذلك اثرٌ عند البهائم العجماء »

والذين يفحصون في متاحف اوربَّة ومتحف مكتبنا الطبي في بيروت مجموعات

الظرّان واختلاف هيئاتهِ واستحضارهِ يأخذهُ العجب من ذكاء اولئك القوم الذين امكنهم نحتهُ . وقد بهرت هذه العجائب حتى بصَر انصار المذهب الدروينى كوتو (Rutot) فقال: « قد بلغ البشر الاوّلون الى دقّة شعور من قبيل الذوق والهندسة فنحتوا ادوات عجيبة الصنع تفتخر بها اليوم متاحفنا »

فلم يَعد اذن يسوغ لايّ كان من انصار التحوُّل والنشوْ ان يدافعوا عن مدّعاهم الباطل بتسلسل الانسان من القرد . وكانوا يؤملون وجود كائنات متوسطة بين الحيوان والانسان الاوّل بما دعوهُ سلف الانسان (Pro-Anthropos) او الانسان القرديّ (Pithécoïde) فخاب املهم ولم يظهر شيْ من ذلك في طبقات الارض يؤيد ظنّهم . والتجأوا الى التقسيم بين جماجم قديمة الجد وحديثة وبين ظرّان خشيب النحت وظرّان محكم النحت حسن الصقل رجاء ان يثبتوا ذاك الترقي المزعوم فجاءت الاكتشافات الجديدة وهدمت ذاك الصرح المبني على الوهميّات اذ حقّقت انّ الجماجم المزعومة كلها من زمن واحد وانّ الظرّان على اختلاف صنعهِ من عَمَلة طور واحد

وخلاصة القول انّ كلّ هذه الاكتشافات تناصرت واظهرت لنا الاجداد الاولين ذوي فهم وحذاقة واصحاب دين ليس في مكتشفات بقاياهم ما يدلُّ على تلك الاعصار البديدة الوهومة ليترقّوا في سلّم الحضارة . وان كان لا يجوز لنا تحديد السنين التي ظهر فيها الانسان الاوّل لا من الكتاب الكريم ولا من التاريخ بحيث نقول انّ الانسان خلق اربعة آلاف او خمسة آلاف سنة قبل المسيح كما زعم بذلك بعض الآباء فكذلك لا يجوز المغالاة في ذكر الاجيال التي ظهر قبلها الانسان كما يبالغ بذلك اصحاب التحوُّل والترقي

ومن ثم يجب ان نفرق بين حقائق الايمان التي يجب علينا التشبُّث بها ولا طريقة الى الضلال باعتقادها وبين حقائق التاريخ التي يبحث عنها العلماء وكثيرًا ما يشطُّ الناس في اثباتها ويتيهون في الدفاع عنها في بيداء الضلال

خلاصة الكلام

انّ التوراة تصوّر لنا الانسان الاوّل بعد تكوينهِ بيد الخالق كذلك الخليقة طفوليّة . خلقهُ الله بعد مخلوقاتهِ الاخرى فجعلهُ كختامها وكاملها وسيدها الذي لاجلهِ

قد سبق وهيأها . ونادى بملكهِ حيث قال لهُ ولنسلهِ : « أثمروا واكثروا واملأوا الارض وأخضعوها » نعم انهُ قال ذلك للانسان اذ كان في حالة البراءة لكنهُ تعالى بعد خطيئة آدم وطردهِ من الفردوس وحكمهِ عليهِ بفلاحة الارض لم يحرمهُ السيادة على المخلوقات وان جعل تلك السيادة اشقّ واصعب

لا ننكر انَّ لحالة الانسان بعد هذا كانت ذات عناء ونَصَب . كانت الارضُ ملكهُ لكنَّ تلك الارض ملعونة بسبب خطيئتهِ لا تنبت لهُ الّا حسكاً وقرطاً فليس موطأ لقدميهِ الّا ويجرحها الشوك دون ان يقيهما نعلٌ . ليس لديهِ ابرة ليخيط ثوبهُ ويستر جسمهُ بورق الشجر . ليس لديهِ اسلحة ليصطاد الحيوان وينتفع بجلدهِ ولحمهِ . هذه الارض تستطيع بقربتها ان تغذيهُ بغلّاتها ولكن لا بدَّ لحراثتها من ادوات وليس اداةٌ في يدهِ . لهُ الملك على حيوانات البرّ وطيور السماء وحيتان البحر ولكن تنقصهُ الوسائل ليُخضعها لامرهِ

لا بل يظهر الحيوان في حالتهِ افضل من الانسان فانَّ للبهائم على اختلاف انواعها غرائز عجيبة ترشدها الى طعامها وقضاء حاجاتها . قد اغناها الله عن اللباس وجاد عليها بأسلحة للدفاع عن نفسها فكلُّها مستعدّ للجهاد في سبيل البقاء من اكبرها جسماً من ذوات الاربع الى اصغرها كياناً كالحشرات الدقيقة

فالانسان بازاء الحيوان يظهر دونها أهبةً فليس لهُ نواجذ الاسد وانيابهُ ولا براثن النمر ولا قرون البقر لا يباري الفرس والغزالة عَدْوًا ولا يعلو الى الفضاء بجناح الطير ليدفع عنهُ خطرًا او يهاجم عدوًّا او يصون نفسهُ من اذاه

وانَّما اعطاهُ الله العقل وبعقلهِ يسدُّ ما يجد في نفسهِ من النقص والخلل بالنسبة الى الحيوان ويثبت ملكهُ على الحيوان . فرغماً عن عجزه الظاهر يبلغ الى بسط ملكهِ على الارض كلها . فهو يتحكم على النبات كما يشاء ليستخرج منهُ طعاماً وافراً ومختلفاً ونسيجاً لاصطناع ثيابهِ وخشباً لادواتهِ وابنيتهِ . يروّض بعقلهِ الفرس والفيل . وبهِ يجعل الحيوانات البريّة كالثور والجمل والشاة اهليَّةً داجنةً . يستمدُّ من سمك البحر ومن طيور السماء وحيوانات البرّ ضروباً من الخدم لغاياتهِ الخاصة يحفر اعماق الارض ليستخرج ما فيها من النحاس والحديد . وضروب المعادن لآنيتهِ وسلاحهِ واصناف الحجارة لمبانيهِ . يفتح لهُ طرقاً على وجه البسيطة وفي قلب الجبال وعلى سطح

الاوقيانوس وفي اعماق البحر وفي اعالي الفضاء . يصطنع الدواليب والعجلات فمنها ما يدور ومنها ما يعوم ومنها ما يطير . يكتشف ما لا يُحصى من الادوات ويسخّر العناصر كالنار والبخار والكهربا، لطاعته . يحلل العناصر الى اقصى دقائقها ليلتمس منها فكّ اسرارها . وكلّ ذلك بفضل عقله الذي اسبغ الله عليه به ليسهّل له بسط ملكه على الخلائق كما وعده وان كان يسوق به الجهل الى جحود فضل الله فيأبى له الطاعة بغباوته هداهُ الله الى سواء السبيل

مطبوعات شرقيّة جديدة

Dmitri Mérejkowsky : Le Règne de l'Anté-Christ = Z. Hippius. Mon journal sous la Terreur = D. Philosophoff : Notre évasion. *Traduit du Russe, 2e éd., éditions Bossard, Paris,* 1921

ملك المسيح الدجّال – يوميّتي في عهد الإرهاب – نجاتنا

هؤلاء ثلثة كتبة روسيين كانوا من حزب الاشتراكيين واعداء الملكيّة . فلمّا سقط القيصر وأعلن بالحكم البولشفيكي أملوا منهُ خيرًا لكنّهم ما لبثوا ان وجدوهُ ثالثة الاثافي ومنتهى الشرور لا يرعى ذمّةً ولا يفي بعهد كلّ سياسة اصحابهِ مكرٌ وخداع وظلم . وقد عاش هؤلاء الكتبة سنتين ونصف تحت هذه الدولة فذاقوا فيها الامرّين الى ان امكنهم النجاة بنفسهم والفرار من ايدي اولئك الذئاب الخاطفة . وقد اسرعوا الى نشر ما عرفوهُ من فظائع البولشفيك ليوقفوا العالم المتمدّن على احوالهم الصحيحة فلا ينخدعوا بما ينشرونهُ من الاكاذيب او يدسّونهُ في تقارير بعض الذين ترسلهم الدول لاستكشاف امورهم . فهم لا يملكون الّا بالارهاب والتهديد باقصى العذابات ويبثّون دُعاتهم في انحاء البلاد ليقبلوا نظامهم وقد استولوا على كلّ المدارس فصارت في ايديهم مشتليات للثورة والخلاعة فيخرج منها الاحداث على صورتهم لا يعرفون ديناً ولا ادباً . والعجب ان محرّري هذه الاسطر كانوا من زلوعي

الاوقيانوس وفي اعماق البحر وفي اعالي الفضاء . يصطنع الدواليب والعجلات فمنها ما يدور ومنها ما يعوم ومنها ما يطير . يكتشف ما لا يُحصى من الادوات ويسخّر العناصر كالنار والبخار والكهربا، لطاعته . يحلل العناصر الى اقصى دقائقها ليلتمس منها فكّ اسرارها . وكلّ ذلك بفضل عقله الذي اسبغ الله عليه به ليسهّل له بسط ملكه على الخلائق كما وعده وان كان يسوق به الجهل الى جحود فضل الله فيأبى له الطاعة بغباوته هداهُ الله الى سواء السبيل

مطبوعات شرقيّة جديدة

Dmitri Mérejkowsky : Le Règne de l'Anté-Christ = Z. Hippius. Mon journal sous la Terreur = D. Philosophoff : Notre évasion. *Traduit du Russe, 2e éd., éditions Bossard, Paris,* 1921

ملك المسيح الدجّال – يوميّتي في عهد الإرهاب – نجاتنا

هؤلاء ثلثة كتبة روسيين كانوا من حزب الاشتراكيين واعداء الملكيّة . فلمّا سقط القيصر وأعلن بالحكم البولشفيكي أملوا منهُ خيرًا لكنّهم ما لبثوا ان وجدوهُ ثالثة الاثافي ومنتهى الشرور لا يرعى ذمّةً ولا يفي بعهد كلّ سياسة اصحابهِ مكرٌ وخداع وظلم . وقد عاش هؤلاء الكتبة سنتين ونصف تحت هذه الدولة فذاقوا فيها الامرّين الى ان امكنهم النجاة بنفسهم والفرار من ايدي اولئك الذئاب الخاطفة . وقد اسرعوا الى نشر ما عرفوهُ من فظائع البولشفيك ليوقفوا العالم المتمدّن على احوالهم الصحيحة فلا ينخدعوا بما ينشرونهُ من الاكاذيب او يدسّونهُ في تقارير بعض الذين ترسلهم الدول لاستكشاف امورهم . فهم لا يملكون الّا بالارهاب والتهديد باقصى العذابات ويبثّون دُعاتهم في انحاء البلاد ليقبلوا نظامهم وقد استولوا على كلّ المدارس فصارت في ايديهم مشتليات للثورة والخلاعة فيخرج منها الاحداث على صورتهم لا يعرفون ديناً ولا ادباً . والعجب ان محرّري هذه الاسطر كانوا من زلوعي

الربح سابقاً فيحصدون اليوم الزوبعة . وكان احدهم وهو فيلوزوفوف من انصار تولستوي واحد الذين يجنّدون الثورة الفرنسويّة الكبرى ويدّعي معهُ انها الوحيُ العظيم الذي ظهر بعد السيّد المسيح الاب بطرس كستاكيس

Meggle (Armand) : Le domaine Colonial de la France, ses ressources et ses besoins. Guide pratique de l'Algérie, des Colonies, des pays de protectorat et des territoires à mandat. *Un vol. in-16, 10 Cartes hors-texte, Paris, F. Alcan, 1922. Prix 12 f.*

ملك فرنسة الاستعماري

يشتمل هذا الكتاب ليس فقط على مستعمرات فرنسة بل على كلّ البلاد التي مدّت اليها حمايتها او عُهد اليها الانتداب المؤقت لتدبير امورها . قد شحنهُ مؤلفهُ فوائد ليوقف اهل جلدته اجمالاً على محصولات كل قطر وتجارته وصناعته ومعاملاته من وارد وصادر وغير ذلك من المعلومات التي يحتاج اليها خصوصاً الفرنسويّون لترويج امورهم . وقد خصّ سوريّة بالذكر (ص ١٠٣—١٣٠) وافاض في وصف مرافئها (١٠٨) ولم يُحسن تعريف النُصَيريّة (ص ١١٠) . وقد ختم المؤلف نظرهُ هذا بافادات عامّة ومشورات عمليّة حسنة مع نظر في مستقبل سوريّة الاب ج. لوقنك

E. Lévi-Provençal : Les Historiens des Chorfa. Essai sur la Littérature Historique et Biographique au Maroc du XVI^e au XX^e siècle, *Paris, E. Larose, 1922, in-12, pp.465*

تاريخ الشرفاء في مراكش منذ القرن السادس عشر الى عهدنا

منذ دعت الظروف فرنسة الى الدخول في مراكش بعثت كعادتها المحمودة هيئة علمائها على درس البلاد وآثارها وتاريخها فظهرت عدّة تآليف يتألف منها اليوم مكتبة واسعة في كلّ امور مراكش . وهذا كتاب جديد يشهد على همّة القائمين وضعهُ احد اساتذة مكتبة العلوم العليا المراكشيّة في رباط ليُطلع المستشرقين على اوثق المصادر التاريخيّة لآخر الدول التي ملكت على مراكش وهي دولة الشرفاء من حسنيين وفلاليين الذي جلسوا على تخت دولتهم منذ اواسط القرن السادس عشر الى عهدنا . والحق يقال انّ ما كُتب من تاريخهم اليوم سواء كان باللغة العربيّة ام باللغات الاوربيّة كان كثير الخلل قليل الضبط لا يمكن ان يُركَنَ اليهِ في

عدّة امور. فأعاد صاحب هذا التأليف النظر في المطبوعات السابقة وراجع المخطوطات التي كان يصعب التوصّل اليها قبلهُ عند الخاصّة واجال في كلّ ذلك نظر الانتقاد وفقًا لنواميس التاريخ الصحيح المنزّه من كلّ الاغراض فأتى بعمل يُعَدّ اليوم امتن اساس واضوأ نبراس لتاريخ دولة الشرفاء. وما يحدث في عهدهم من الامور ولمن اشتهر في ايّامهم من الائمة والاولياء والعلماء استنادًا الى الثقات وزيّن عملهُ بالملحوظات والتذييلات والفهارس فلم يَفُتهُ شيء من التحسينات التي يرغبها القرّاء. وقد تمنّينا في اثناء مطالعتنا لهذا التأليف ان ينقلهُ احد الادباء الى لغتنا ليتعلّم الشرقيّون الطريقة المثلى لكتابة التاريخ ل. ش

Charles-F. Jean Lazariste diplômé de l'Ecole des Hautes-Etudes. MA MISSION SCIENTIFIQUE EN ORIENT. Journal de Voyage. *Paris. J. Gabalda*, 1921, *in*-16. *pp.* 221

بعثتي العلميّة الى الشرق

صاحب هذه البعثة احد الآباء اللازريين النائل شهادة مدرسة الدروس العليا في باريس وتلميذ الاب شيل الدومنيكي في درس الآثار الاشوريّة التي توفّق الى تفسير وشرح كثير منها. واذ علم ان في الاستانة العليّة وبعض متاحف الشرق آثارًا من جنسها لم ينشرها الاختصاصيّون طلب من الحكومة الفرنسويّة ان تعهد اليهِ ببعثةٍ الى الشرق للبحث عنها. فسُرّ مدير المعارف لطلبهِ واجازهُ على مباشرة بعثتهِ واوصى بهِ عمّال دولتهِ في الشرق ليساعدوهُ في عملهِ. فاتمّ حضرتهُ هذا السفر في العام المنصرم وها هوذا قد متّعنا بأخبار رحلتهِ وما استفاد منها لخدمة العلم بما اكتشفهُ في متحف اسطنبول من صفائح الآجرّ المكتوبة باللغة السومريّة في الالف الثاني والثالث قبل المسيح بل عدّة اجيال قبل ابرهيم الخليل. وقد زاد كتابهُ فائدةً بما اودعهُ من الملحوظات في آثار البلاد التي مرّ بها كقيليقية وسوريّة ومصر مع وصف عادات الشعب والاخلاق. ولم ينسَ حضرة الكاتب انهُ مرسل كاثوليكي فتراهُ مدّة سفرهِ يتقرّب الى نفوس رفقتهِ فيرشدها الى الصلاح ويبذر فيها الزرع الجيد. فلله العلم المقرون بالدين ل. ش

Chuichiro Gomyo : The Oneness of Humanity. *London*, 1922

وحدة الانسانيّة

هذه كلمة لاحد اليابانيين الذي ارتدّ الى الشيعة البروتستانيّة وتحزّب لحزب

الاشتراكيين النصارى فهو يستنشد الله كلّ الناس الرجال والنساء ليسعوا بابطال الحروب فيعيش البشر بالوفاق والمحبّة ويجاهدوا بشغلهم في سبيل المعاش ! س.ر

L'EDUCATION PHYSIQUE. Revue scientifique, et critique. *Paris, Bard des Italiens, 8, mensuelle* 10 nos. *France et Syrie*, 15 *Francs*

التهذيب الطبيعيّ : مجلّة علميّة وانتقاديّة

كانت الحرب اوقفت هذه المجلّة المفيدة لاهل المدارس خصوصاً : وكان لها من العمر سابقاً ١٤ سنة وها هي اليوم انبأت العموم انها تعود الى مواصلة نشرتها فأهدتنا العدد الاوّل منها فوجدناها جارية على نمطها السابق ترشد الشبان الى تقوية ابدانهم في زمن دروسهم خاصّة ليتم فيهم تعريف الرجل الكامل « عقل سليم في جسم سليم » ج.ل

كتاب كليلة ودمنة

طبعة جديدة مدرسيّة . عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٣ (ص٣٢٠)

هذه الطبعة المدرسيّة الجديدة مبنيّة على اقدم نسخة مخطوطة تُعرف لهذا الكتاب تاريخها سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٩ م) وهي تختلف عن كل النسخ المطبوعة الى عهدنا كنّا نشرناها سابقاً لافادة العلماء وقدّمنا عليها افادات وشروحاً وانتقادات واسعة فعرف المستشرقون فضلها على سواها . وها نحن اليوم ابرزنا هذه النسخة القديمة على صورة مدرسيّة لإفادة الطلبة بعد تجريدها من اُصبتها العلميّة وتنقيح ما وقع في تلك النسخة من الاغلاط وإزالة ما فيها من الشبهات وحذف ما يشينها من الروايات المخلّة بالاداب . وقد طبعناها بحرف كبير مُشرق ولم نضبطها بغير الشكل النافي للارتياب ليعتاد الطلبة قراءة النصوص الخالية من الشكل . وفي آخر الكتاب مُعجم للالفاظ اللغوية الواردة فيه ل.ش

ديوان الشاعرين عمرو بن كلثوم والحارث بن الحِلِّزة

نشرهما لاوّل مرّة فرتس كرنكو عن نسخة الاستانة الفريدة

طبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٢ (ص ٦٨)

نُشر هذان الديوانان لاوّل مرّة في مجلّتنا المشرق مع حواش للجناب ناشرهما ثمّ

طبعها على حدة. وقد اضفنا على هذه الطبعة الفردية ثماني صفحات فيها ملحوظات شتى وانتقادات وزيادات على الديوانين لتتم بها الفائدة. لا حاجة لتبيان ما في نشر هذه الآثار القديمة من الخدمة الجلى للآداب العربية قبل ان يُخفي عليها الدهر فنشكر للمستشرق كرنكو الذي استخرج هذا الكنز من دفائنه وهو يُطلب من مطبعتنا

علم الصحة

تأليف الدكتور امين الجميّل

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت مع عدة صور ورسوم (ص ٢٦١)

كثيراً ما كنا نتمنى ان يُنقل الى لغتنا احد الكتب العديدة التي نشرها علماء الاطبّاء في اوربّة عن علم الصحّة لقلّة ما نجد منها في العربيّة: فها هوذا الدكتور امين الجميّل قد حقّق امانينا بل أتى بما لم يخطر لنا على بال فانّهُ رأى الكتب الاجنبيّة مع وفرة علمها تذهل غالباً عن احوال بلادنا وبيئتها كثير من عادات اهلها. ومن ثمّ آثر وضع كتاب مستقلّ جمع فيه احدث ما توفّق اليه العلم العصري بالنظر والاختبار من قوانين الصحّة وطبّقه على ما يمتاز به اهل الشرق في معاشهم وحركاتهم وسكناتهم فجعلهُ كتاباً حيًّا يلوح من كلّ صفحاته ما اتّصل اليه بخبرته الخاصّة من المعلومات الملائمة لبلادنا ولاهلها على اختلاف طبقاتهم. فلا يسعنا الّا الثناء على عمل الدكتور والتحريض نكرّر من بحثه امر صحته على اقتناء كتابه فيجعله كدستوره اليومي لدارة نفسه وصحة اهل بيته. ومع ضخم هذا الكتاب البالغ ٧٦٠ صفحة وحسن طبعه وكثرة ما يزينه من التصاوير والرسوم قد جُعل ثمنه زهيداً لتعميم فوائده

ل. ش

كتاب جغرافية العراق

تأليف رزق الله عيسى

طُبع في المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة في بغداد سنة ١٩٢٢ (ص ٢٩٩)

هذا الكتاب احد بواكير المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة المنشأة حديثاً في

بغداد . وحُسن طبعهِ يشهد لاصحابها بجودة الذوق ومعرفة الفنّ زادها الله رقياً ونجاحاً . اما الكتاب فهو ايضاً من مبتكرات الاعمال فلسنا نعرف غيرهُ لجغرافية العراق وقد تتبّعنا بشوق اجزاءهُ المختلفة ووصف أَلويتهِ واقضيته ونواحيهِ مع مدنها وقراها وما يمتاز كلّ لواء من مزارع وسهول وجبال ونهر وتجارة وصناعة وآثار قديمة . فلا شكّ انّ طلبة المدارس في العراق يقبلون على درس هذه الجغرافية بكل رغبة وغيرة ليقفوا على معرفة وطنهم . ويا ليت المؤلف كان اضاف الى كتابهِ خارطةً ليستدلّوا بها على موقع الامكنة . ولعلّهُ يفعل في طبعة ثانية ومما يجب اصلاحهُ قولهُ عن النجوم (ص٥) انّ منها ما يقتبس ضوءهُ من الشمس فهذا لا يصحّ في غير النجوم السيارة . وكذلك يحتاج تعريفه للاديان (ص ١٨) الى زيادة في التدقيق . ومثلهُ قولهُ في لغات البشر (ص ١٧) فليس القبطيّ من اللغات الساميّة وليست اللغات الساميّة والاراميّة مترادفة وانما الآراميّة قسم من الساميّة

سلّم القراءة الحديث

لجرجس عبد الملك (الدرجة الرابعة)

في مطبعة عبد الملك ببيروت (ص١١٠)

قد تعدّدت كتب القراءة العربيّة بحيث لا تخلو منها مطبعة في بيروت واكثرها محلّى بالضبط التام ومزيّن بالصور . وهذا كتاب جديد من شكلها يدّعي صاحبهُ كأسلافهِ انهُ «احدث الاساليب وافضلها لتعليم القراءة والكتابة معاً» وهذه الدرجة الرابعة التي لم يطلعنا المؤلف على غيرها تحقّق مدّعاهُ لما اودعها من الفوائد اللغويّة والجغرافيّة والتاريخيّة ومن التمارين . على اننا رأينا الكتاب موجّهاً خصوصاً لمدارس الاميركان يتوخّى طريقتهم في التعليم بل يمثّل افكارهم الخاصّة ل . ش

كتاب تحقيق المقال في انّ الخلاص بالايمان والاعمال

تأليف الشيخ ظاهر خيرالله الشويري

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٤٠ + ٣٤٠)

هذا اثرٌ آخر لذاك الجهبذ الصنديد الذي خدم العلم والدين معاً مدّة سنين طويلة

فاسفنا على فقده في ايام الحرب الكونية . كان آخر ما اتينا عليه من اعماله كتابه البديع « الادلة القراء على سمو شأن مريم العذراء » دافع فيه دفاع الابطال عن سمو قداسة ملكة السماء بلهجة حماسية استغربها بعض الذين لم يعرفوا شيئاً من دسائس الشيع البروتستانية وحملاتها على كل تعاليم الكنيسة . واليوم قد اوقفنا ابنه الكريم ووريث فضله على كتاب آخر ليس اقل شأناً من السابق رد فيه على احد مبادئ البروتستانية الوخيمة وذلك حصرهم خلاص الانسان بالايمان فقط دون الاعمال الصالحة فوجه الشيخ نظر الانتقاد الى هذا المبدأ وبين فساده من كل وجه من العقل والنقل من العهدين القديم والحديث من معتقد الكنيسة في كل زمان ومكان من اقوال آباء الشرق والغرب وهو في كل اقواله يتقفى آثار اخصامه لا يدع لهم سبيلاً للنجاة من ضرباته المؤلمة وبراهينه القاطعة . وقد استطرد الى مسائل أخرى عديدة وجدها في كتب البروتستانت فدحضها دحضاً تاماً وكشف خبث كاتبيها وتزييفهم لآيات الاسفار المقدسة . فنتمنى ان ينتشر هذا الكتاب في كل مكان يزرع فيه البروتستانت اضاليلهم في شرقنا العزيز . وثمنه ٢٥ غرشاً سورياً . يطلب من ابن المؤلف امين افندي ظاهر خيرالله في قلم جريدة الهدية في بيروت

كاترين الثانية

قصة تاريخية تُرجمت لمجلة الهلال

طُبعت في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٢ (ص٥٩)

لكاترين الثانية في تاريخ روسية مقام فريد فانها بعد بطرس الكبير اعظم من تولى الحكم في روسية وبفضلها قد دخلت تلك البلاد المنفردة في اقاصي اوربة في حيز الدول المتمدنة ولم تألُ جهدها في نوال غايتها بتعزيز الآداب والصناعة والتجارة . وقد جمعت هذه الملكة في شخصها صفات متضاربة جعلتها كاحد الغاز التاريخ ولا تنسى الرهبانية اليسوعية حمايتها لجماعتها في حين تآمرت عليها كل الدول الاوربية باغراء الماسونية واعداء الدين . وليست غاية صاحب هذه القصة ان يكتب تاريخ تلك الملكة وانما اراد ان يهتك القناع عن حياتها الفردية التي جعلتها كما كتب في صدر تأليفه « لشهر الخاطئات من صاحبات التيجان » ونحن نجل نفسنا من الخوض في هذه الحمأة المنتنة فندع المسئولية على من يرضى بحملها

ل . ش

لودندورف القائد الالماني العظيم

بقلم خليل كريم ثابت

عُني بنشره وطبعه يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر (ص ٩١)

لودندورف رئيس هيئة اركان الحرب العامّة الالمانيّة اظهر في تلك الحرب من الحنكة ومعرفة الآداب العسكريّة ما لم يبلغهُ الّا القليلون من زملائهِ ولاسيّما هندنبورغ. وقد اتّسع كثيرون في ذكر هذا النابغة وسيرتهِ واعمالهِ وثباتهِ العجيب حتّى اضطرّ الى تقدمة استعفائهِ اذ رأى الامبراطور والشعب معوّلين على طلب الهدنة وهو يريد الحرب الى المنتهى. فاحبّ يوسف افندي توما البستاني ان يعرّف ابناء الشرق بذاك القائد الكبير مثال الجدّ والثبات ومحبّة الوطن فعهد الى احد ادباء مصر كريم افندي خليل ثابت بأن يحرّر ترجمتهُ مستندًا الى اوثق المؤرخين العصريين. فافاد واجاد

ل . ش

هدايا ارسلت الى الشرق

← ١ ← فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف ← رواية خلاعيّة كان الاولى بمؤلفها وناشرها ان يأنفا من فتح مثل هذه البواليع فتتبث روائحها السائمة فتفسد القرّاء والله اعلم فيما من الصحة

← ٢ ← الحقّ يعلو بقلم يوسف سعد نصر ← طبع في سان باولو برازيل سنة ١٩٢٢ (ص ٦٢). انّ في هذه الكرّاسة امورًا تشعر بخيبة كاتبها اكثر منها بحقيقة الواقع

← ٣ ← تقدّم اليابان ← بقلم جرجي نقولا باز. خطاب قديم القاهُ جانبًا في ايّام الحرب الروسيّة اليابانيّة فنشرهُ آخرًا في مطبعة القديس جاورجيوس وهو يتضمّن نظرًا اجماليًا في جغرافية اليابان وتاريخها وديانتها وآدابها وترقّيها في سُلّم الحضارة الى ان صارت من جملة كبار الدول الحاليّة. وقد وصفت الجرائد مؤخرًا زيارة ولي عهد ملك اليابان لقداسة البابا الاعظم بيوس الحادي عشر

شذرات

الالقاب في الاسلام كتبت الجرائد بعد الحرب فصولًا ألفتت فيها نظر العموم الى إلغاء الالقاب الشريفيّة والاوصاف التفخيميّة التي يعنونون بها رسالاتهم

لودندورف القائد الالماني العظيم

بقلم خليل كريم ثابت

عُني بنشره وطبعه يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر (ص ٩١)

لودندورف رئيس هيئة اركان الحرب العامّة الالمانيّة اظهر في تلك الحرب من الحنكة ومعرفة الآداب العسكريّة ما لم يبلغهُ الّا القليلون من زملائهِ ولاسيّما هندنبورغ. وقد اتّسع كثيرون في ذكر هذا النابغة وسيرتهِ واعمالهِ وثباتهِ العجيب حتّى اضطرّ الى تقدمة استعفائهِ اذ رأى الامبراطور والشعب معوّلين على طلب الهدنة وهو يريد الحرب الى المنتهى. فاحبّ يوسف افندي توما البستاني ان يعرّف ابناء الشرق بذاك القائد الكبير مثال الجدّ والثبات ومحبّة الوطن فعهد الى احد ادباء مصر كريم افندي خليل ثابت بأن يحرّر ترجمتهُ مستندًا الى اوثق المؤرخين العصريين. فافاد واجاد

ل . ش

هدايا ارسلت الى الشرق

← ١ ← فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف ← رواية خلاعيّة كان الاولى بمؤلفها وناشرها ان يأنفا من فتح مثل هذه البواليع فتتبث روائحها السائمة فتفسد القرّاء والله اعلم فيما من الصحة

← ٢ ← الحقّ يعلو بقلم يوسف سعد نصر ← طبع في سان باولو برازيل سنة ١٩٢٢ (ص ٦٢). انّ في هذه الكرّاسة امورًا تشعر بخيبة كاتبها اكثر منها بحقيقة الواقع

← ٣ ← تقدّم اليابان ← بقلم جرجي نقولا باز. خطاب قديم القاهُ جانبًا في ايّام الحرب الروسيّة اليابانيّة فنشرهُ آخرًا في مطبعة القديس جاورجيوس وهو يتضمّن نظرًا اجماليًا في جغرافية اليابان وتاريخها وديانتها وآدابها وترقّيها في سُلّم الحضارة الى ان صارت من جملة كبار الدول الحاليّة. وقد وصفت الجرائد مؤخرًا زيارة ولي عهد ملك اليابان لقداسة البابا الاعظم بيوس الحادي عشر

شذرات

الالقاب في الاسلام كتبت الجرائد بعد الحرب فصولًا ألفتت فيها نظر العموم الى إلغاء الالقاب الشريفيّة والاوصاف التفخيميّة التي يعنونون بها رسالاتهم

فتراهم ينعتون العامّة نفسهم بنعوت بعيدة عن مقام المكتوب اليهم . فاصبح كلّ واحد منهم «الاعزّ الاجل الاكرم الافخم العالي الشيخ» الى القاب اخرى لا معنى لها فحرّضوا على نبذ تلك العادات الباطلة والعَوْد الى السذاجة القديمة

وفي هذه النسبة يحسن بنا ان نذكر هنا فصلين قرأناهما في بعض التواريخ القديمة يقبح صاحباهما تلك العادة التملقيّة ويستهجنان انتشارها بين الناس . فالفصل الاوّل قرأناهُ في تاريخ ابن تغري بردي المعنون بالنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الذي عُني بطبعهِ المستشرق وليم پوپر (Popper) (ص١٤٤) قال بعد ذكرهِ تولية جلال الدولة سنة ٥١٦ وخلعهِ على وزيرهِ قال: «ولقّبهُ عَلَم الدين سعد الدولة امين المشرف الملك (قلتُ) وهذا ثاني لقب سمعناهُ من اسم مضاف الى الدين . واوّل ما سمعناهُ من هذه الالقاب لقب بهاء الدولة بن بويه ركن الدين (قلنا) لعلّ ذلك كان تعظيماً في حقهِ لكونهِ سلطاناً فيكون هذا على هذا الحكم وهو اوّل لقب لُقّب بهِ في الاسلام والله اعلم . ومن يومئذٍ ظهرت الالقاب وتغالب فيها الاعاجم حتّى انّهم لم يدعوا شيئاً الّا واضافوا الدين لهُ حتّى اشتهر ذلك وشاع وسُمّي بهِ كلّ احد حتى الاسالة فانهم من يُسمّى «جلال الدين وسعد الدين وجمال الدين» فلا قوّة الّا بالله وحقّ المغاربة في حذقهم ممّن يلقّب بهذه الالقاب وانا والله احلف لو ملكتُ امري ما لُقّبت بجمال الدين وغيرهِ واكره من يسميني بذلك ولا اقدر على تغيير الاصطلاح وهذا لا يكون الّا من وليّ امر او حاكم بلدة »

أمّا الفصل الثاني فاقدم واوسع كتبهُ هلال الصابي في تاريخ الوزراء الذي نشرهُ في مطبعتنا المرحوم اميدروس (H. F. Amedroz) فاثبت الكاتب هناك (ص ١٥٢ — ١٥٩) جدول الالقاب التي كان الوزير ابو الحسن بن الفرات قرّرها لمخاطبة الامراء واولاد الخلفاء والولاة والكبراء واصحاب الاطراف وعُمّال العُمّال وسائر الطبقات توقيعاً بهِ اليهم وقد قدّم على هذا الجدول كلاماً طويلاً نقتطف منهُ ما يأتي :

وقد تبدّلت الرسوم ودرست الامور ووقع التسرّع منهُ فيما كان من قبل يضايق فيهِ فاوردتهُ متعجّباً ومعجباً من التفاوت الشديد بين ما كان وما نحن عليهِ الآن . فانّنا اليوم في انخراق قد زاد وأسرف وتمادى وما وقف حتّى ان الملوك ومَن بعدهم من الوزراء قد أنفوا من ذكرهم «بسيّدنا» واستقلّوا خطابهم «بمولانا» فعدل الناس باولئك الى «الحضرة الشريفة والحضرة

العالية السامية . . . الى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة وانتهت هذه الحال الى ان شاركهم فيها الاكابر من اصحاب الاطراف . . . واتسع هذا الباب فدخل فيه كلُّ من اراد من غير احتشام ولا ارتقاب . وقد خرجت في عصرنا الالقاب عمَّا يُحاذَى به ويوصف او يأتي عليه حصرٌ وصار لقب الاصغر اعظم من لقب الاكبر . . . ومضى من يعرف الاصول ونشأ من لم يسمع الا هذه الفروع فخالها الصحيح وتمادى الامر من حالٍ الى حال في الباطل والانتقال حتَّى افضى هذا الى الاختلال والانحلال »

﴿ الحساب الغربيّ في روسية ﴾ كنا اخبرنا سابقاً في المشرق انَّ حكومة البولشفيك في روسيَّة عدلت الى اتخاذ الحساب الغربيّ في معاملاتها . فكان لهذا التغيير تأثيرٌ عظيم في انحاء روسيَّة لكنَّ الشعب لم يكترث كثيراً لهذا الامر بخلاف الاكليروس الذي يعدُّهُ من امورهِ الجوهريَّة التي يتشبَّث بها بازاء الكنيسة الغربيَّة ليمنع نفوذها . على انَّ العقلاء منهم ارادوا ان يوافقوا الحكومة في ذلك ويطبّقوا الاعياد والمواسم على نظام الحكومة فيقدّموها ثلثة عشر يوماً فحدث بسبب ذلك خلافٌ في روسيَّة اعلنت به جريدة « الف باء » وروتهُ عنها جريدة البشير كما يلي :

« احدث ابداع الروزنامة الوفياتيَّة انشقاقاً جديداً بين الاكليروس الملاني واحتاروا في اقامة حفلات الاعياد الكنائسيَّة اذ لا يطيعون اذا كان يجب عليهم اقامتها حسب التاريخ الشرقي او التاريخ الغربي الذي اعتنقتهُ مؤخَّراً حكومة السوفيات . والفرق بينهما كما لا يخفى ١٣ يوماً فجمعوا اذ ذاك الى استفتاء البطريرك تيخون فابى ان يقول كلمةً في الامر . لذا عَدَّ مؤخِّرُ اساقفة فنلاندا اوامر العزم على اعتناق الحساب الغربي واطاعوا ذلك للشعب فوردت اذ ذاك رسالة من البطريرك تيخون يطلب منهم ابقاء على الحساب الشرقي فانقسم الاساقفة والكهنة الى قسمين يصرُّ القسم الاوَّل على اتباع الحساب الغربي والثاني على اتباع الحساب الشرقي . وهكذا وقع الاكليروس الروسي في فوضى ادهى به بحرفة »

نحن نرى انَّ هذا الحاجز الذي يمنع اتحاد الكنائس لهُ لا بُدَّ ان يزول قريباً كما نؤمل ان ستسقط مثلهُ بقيَّة الاوهام التي تحول دون تحقيق رغبة السيد المسيح ان يكون راعٍ واحد لرعيَّة واحدة

﴿ المكتشفات الحديثة وهي عربيَّة قديمة ﴾ هذا عنوان محاضرة القاها الشيخ جوهري طنطاوي في نقابة المعلمين بمصر واثبتت قسماً منها مجلة المقتطف بعددها الاخير (اوغسطوس ٢٤٢—٢٤٧) . نقول ان العصبيَّة العربيَّة قد فتنت بعقول بعض الشرقيين الذين ينقلون كلاماً لسيديو (Sédillot) ولمثاله ليقنعوا كثيراً من اختراعات العلماء

الاوربيين الى العرب وينقلوا كلامهم على علاته . فلو ارادوا ان يقتصروا بهذه المكتشفات وجب عليهم ان يأتونا بكلامهم وينقلوهُ عن تآليفهم ليعمل فيهِ العلماء نظر الانتقاد فانَّ ما قالهُ سيديو قد فنَّدهُ العلماء الاثبات وبيَّنوا فيهِ غلطهُ . وعلى كلّ حال ان كان علماء العرب قد سبقوا الى هذه الاختراعات فما لهم لم ينشروها في مدارسهم وبين تلامذتهم ليستفيد منها العالم . دخل بعض السيَّاح الافراد اميركة قبل كولمبس فاذا افاد دخولهم لو لم ينهج كولمبوس طريقاً للعالم الجديد . كذلك قال فيثاغورس وبعدهُ بنحو الفي سنة عضدُ الدين ثم الشريف الجرجاني بدوران الارض حول الشمس فلم يثبت لهم هذا الاكتشاف حتى أيَّدهُ غليليو بالبرهان

﴿ كوبرنيكوس وغليليو في زعم جوهري طنطاوي ﴾ في المقالة التي اشرنا اليها آنفاً (ص٢٤٤) زعم الشيخ جوهري طنطاوي «انَّ الاوربيين كادوا يقتلون كوبرنيكوس وغليليو الذي اتبعهُ لكفرهما في نظر العلماء كما هو معلوم » فردَّد كالببغاء ما طالما فنَّدهُ العلماء الاثبات . فامَّا قولهُ عن كوبرنيك فهو محضُ افتراء . وقد بيَّنا في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٧٩) انَّ كوبرنيك كان كاهناً كاثوليكيًّا وانهُ لمَّا علم على خلاف رأي بطليموس وارسطو انَّ الارض تدور حول الشمس وليس بالعكس » وجد في الكنيسة الرومانيَّة اقوى انصاره » وكان سبقهُ اليهِ الكردينال نيقولا دي كوزا كما تدلُّ عليهِ بعض تآليفهِ . ثم دافع عن هذا المذهب العلَّامة الفلكي جان ڤدمنستاد «امام البابا اقليمس السابع والكرادلة حاشيته فسُرَّ الحبر الاعظم بخطابهِ واثنى عليهِ واجازه بنسخة ثمينة من مخطوطات مكتبته» امَّا كوبرنيك فان الكردينال شمبرغ من الرهبانيَّة الدومنيكيَّة كان يحلُّهُ وينشطهُ وقد اقنعهُ بنشر كتابهِ المنون « في حركات الافلاك العلويَّة » ففعل وقدَّم كتابهُ للبابا بولس الثالث فقدَّر البابا عملهُ وشملهُ بالطافهِ الى موتهِ . ولعلَّ الذي خدع بهِ الشيخ طنطاوي ما كتبهُ زورًا كڤيليوس ڤان ديك في اصول الهيئة (ص١٧) وزيَّفناهُ في مقالتنا هناك (حاشية ص١٨٠) . .

امَّا غليليو فافردنا لهُ فصلاً مطوَّلاً تحت عنوان صواب الرأي في دعوى غليلاي (ص١٧٨ — ١٨٥) واثبتنا هناك استنادًا الى اوراق دعوى هذا العالم في ديوان التفتيش انهُ لم يعترضهُ احد في دفاعهِ عن رأيهِ العلمي وانَّما حظروا عليهِ تفسير الكتاب المقدَّس وهو ليس من فرسان هذا الميدان واذ رأوهُ مصرًّا على التعرُّض

للاسفار المقدسة على خلاف ما كان وعد به فاضطرّ مجمع الكرادلة ان يحكم عليه لعناده ولا تنكر انهم شطّوا في حكمهم كما تشطّ المحاكم لكن غليلاي بعد رضوخه لحكمهم لم ينلهُ شيء من العقاب بسبب تعليمه لأ بل لم يطلب منهُ المجمع المقدّس جحود رأيه وانما طلبوا منهُ ان يدافع عن قولهِ كعالم خصوصي دون ان يمس الكتب المنزلة . وقد فصّلنا في مقالتنا كلّ احوال غليلاي بعد حكم المجمع عليه وكيف أُفرج عنهُ بعد قليل بل عُومل بكل تجلّة واعزاز باقرار اصحاب غليليو نفسهم . فحتّى متى يردّد العموم هذه الاكاذيب التاريخيّة التي يعدّونها كأحد الاوّليات التي لا شبهة فيها؟

﴿ اقدم انسان في اميركا ﴾ افتتحت مجلّة المقتطف عددها الاخير بمقالة « اقدم انسان في اميركا » وزيّنتها بصورتهِ المزعومة لتوهم القرّاء بصحّة مذهب التحوّل والنشوء الذي انتصرت له مرارًا . وفي مقالة حضرة الاب اسكندر طوران في العدد الحاضر والعدد السابق ما يدحض مزاعم القائلين بهذا المذهب ويُبطل اعظم حججهم باستنادهم الى الهياكل البشريّة القديمة والى الظرّان فليراجع

﴿ الصليبيّة والعالم الاسرائيلي ﴾ تنشّط الاسرائيليّون في بيروت لنفوذ الحركة الصهيونيّة في جوارهم فأنشأ « سليم اليـاهو منّ » جريدة اسبوعيّة تحت اسم « العالم الاسرائيلي » وجعلها لسان حال امّته . وذلك من حقوقهِ . على انّ صاحبها ظنّ انّ رواجها يزيد بتمرّضهِ الى النصرانيّة كالوف عادة قومهِ فنشر فيها ما كان الاولى به السكوت عنهُ لئلا يفتح باباً واسعاً لإفحامهِ لا بالاكاذيب والسفاسف لكن بادلّة اضوأ من الشمس . تحامل على الصليبيين وزعم « انّ الاسرائيليين ذهبوا ضحايا تلك الحملة » ونسي انّ ثورة اليهود في اوربّة كانت خصوصاً في عهد الصليبيين اذ كانوا يشترون املاكهم بابخس الاثمان ويعيرونهم النقود بالربا الفاحش فحرّكوا بظلمهم غضب العالم المتمدّن وثارت عليهم ثورات المظلومين ولولا رحمة الاحبار الرومانيين وحنوّ ابواب الكنيسة لاتّسع الخرق وتفاقم الشرّ . وما قولنا بدسائسهم وضحايا بغضهم سرًّا وعلانيةً وكتب التاريخ وتقارير المحاكم مشحونة بتفصيلها . وما هوذا « تلمود جدلم » يُقتل المسيحيين بنصوص عديدة مقزّزة للبهائم ويجيز اختلاس اموالهم وقتلهم . ولو لم يكن لنا شاهد على ذلك غير الجزكة البولشفيّة في روسيّة لكفى بها

حجّة قاطعة على فظائعهم وكلّ يعلم انّ هذه الحركة هي في معظمها حركة يهوديّة غاية ما تسعى به قتل الدين المسيحي في قلوب البشر. اسمع ما كتبتهُ احدى السيّدات الفرنسويّات اميلي ڤرنو (Emilie Verneaux) في العدد الاخير من مجلّة العالمين (Revue des Deux-Mondes, 1er Août 1922, p.676) بعد خروجها من روسية حيث كانت تعلّم الفرنسويّة في مدارس بتروغراد «Les chefs du mouvement bolchéviste sont presque tous juifs ; aussi la haine religieuse se mêle à toutes leurs actions ; Ils se sont attqués à la religion chrétienne, afin de pouvoir plus aisément façonner la jeunnesse à leur gré ... Il en résulte que, parmi cette jeunesse bolchéviste tout sentiment honnête a disparu» هذه احدى ثمرات العالم الاسرائيلي. ومع قتلهم للنفوس كم قتلوا من الاجساد. لسنا بمبالغين لو قلنا ان اصحاب الحركة البولشفيّة اليهود ضحّوا من البشر في هذه السنين الخمس الاخيرة اكثر ممّا ضحّاهُ النصارى المظلومون من اليهود مدّة الف وثمانمائة سنة. فليخز «العالم الاسرائيلي» ويوفّر بسكوتهِ على نفسهِ وقومهِ ما يستحقّونهُ من الانتقاد

﴿تحوّل الماسونيّة المصريّة﴾ كنّا اثبتنا في الكرّاس الخامس من كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» حالة الماسونيّة المصريّة التي كان ابناء الارملة عهدوا بتدبيرها الى «الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري ادريس بك راغب» وكان الكتبة الناصرون للماسونيّة يذمّرون ويضجّون من الشيعة وازدهارها فلمّا لبث اولئك الاخوة ان انقسموا وتشاتموا حتى بلغ صخبهم آذان الجمهور واقاموا الدعوى على رئيسهم وقد وصفنا سابقاً الكتاب الاسود الذي اصدروهُ في حقّهِ (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٥٠٣). وكنّا ظننّا انّ الحرب العموميّة ابطلت هذه الحرب الداخليّة واذا بعدد جريدة المقطّم الصادر في ٣٠ تموز وكاتبهُ من اهل البيت يفيدنا انهُ شاع الخبر بترشيح احد امراء العائلة الملكيّة لرئاسة المحافل الماسونيّة بدلاً من ادريس بك لكنّ الخبر لا صحّة لهُ فخاب امل الذين كانوا ينتظرون من رئيس جديد «جهداً جديداً من الاصلاح والرقي والاعمال النافعة للانسانيّة فعسى (اي الماسونيّة) نوماً عميقاً وجموداً طويلاً لا صحو لابنائها سوى التثاؤب والاتقال» (كذا)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد المؤارنة في البلد من هو القديس زخيا وفي اي يوم واقع عيدهُ؟

القديس زخيا وعيدهُ

ج ذكرنا في كتابنا « ابطال الايمان في اولياء الله في لبنان » (ص ٣٥) آراء الناس في القديس زخيا فظنَّ البعض انهُ زكّى المذكور في الانجيل ورأى غيرهم انهُ تعريب اسم البابا اينوقنت (S. Innocent) وقد رجّحنا ان هذا الاسم سرياني أَكْمُلْ اي منصور وانهُ بالسريانيَّة ترجمة اسم نيقولا اليوناني القديس الشهير الذي عيدهُ عند اليونان في ٦ كانون الاوّل: واما المؤارنة فيعيّدونهُ في ٣١ آب

س وسأل من حلب حضرة الاب جبرائيل رباط ان نفيدهُ شيئاً عن التآليف التي تتضمَّن بعض المعلومات عن دير الزور وسنجقها

دير الزور وسنجقها

ج في السنة العاشرة من المشرق (١٩٠٧: ٣٨-٤٥) مقالة حسنة لعبد الكريم افندي نوري في تاريخ دير الزور ووصف اجوالها. وفيه ايضاً (ص ٤٨٨-٤٩٢) بحثان عن اسمها القديم والحديث. ولمتصرفيَّة دير الزور في التركيَّة سالنامة خصوصيَّة طُبعت في الاستانة. ومن كتبوا عنها في الفرنسويَّة كوينه في كتابهِ تركيَّة آسية (Cuinet: *Turquie d'Asie, II,* 275-285) وفون اوپنهيم في كتابهِ الالماني «من البحر المتوسط الى بحر العجم» (Von Mittelmeer zum Persischen Golf, I, 329 et suiv.)

ل. ش

س وسأل مستفيد متى عاش بوذا منشئ الشيعة البوذيَّة في الهند؟

بوذا منشئ الشيعة البوذيَّة

ج قصَّة بوذا من اساطير الهنود وروايتهم المختلقة التي لا يمكن الوثوق بها. وقد اختلف العلماء في زمانهِ كما اختلفوا في كافَّة احوالهِ. والمرجَّح انهُ عاش في القرن الخامس او السادس قبل المسيح

ل. ش